الفصل السادس

رسوم ورسامون

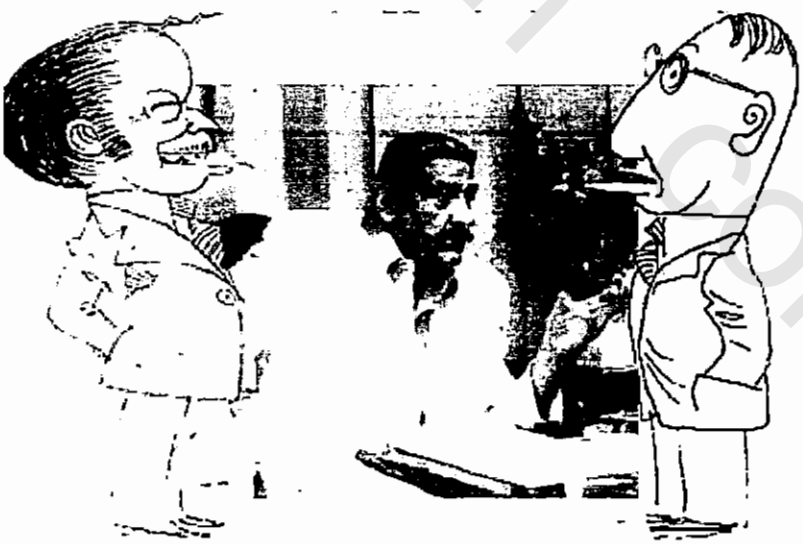

obeikan.com

الفصل السادس
رسوم ورسامون

يعتقد جورج بهجوري أن الرسوم الكاريكاتورية في تدهور نتيجة لتقلص حرية التعبير التي سببت حالة من الإحباط بين الرسامين[١]، بينما يؤمن عبد الحليم البرجيني بأن الرسوم الكاريكاتورية تزدهر أكثر في الأوقات التي تشهد إحباطًا اجتماعيًا وسياسيًا وتدهورًا اقتصاديًا وانتشارًا للفساد والظلم[٢].

ويرى محمد عمر بأن دور الرسوم في معالجة المشاكل الجادة أصبح محدودًا لتقص المساحة المخصصة للكاريكاتير في الصحف القومية ولهيمنة بعض رؤساء التحرير على مواضيع الكاريكاتير لكونهم أكثر قلقًا من رد فعل السلطة الحاكمة مما يجعلهم يرفضون أي كاريكاتير يمكن أن يهدد بقاءهم في مناصبهم. وعلى العكس، تتبنى بعض الصحف الحزبية والمستقلة دماءً جديدة وتتيح لهم مساحات أكبر لنشر رسومهم[٣].

يرى عمرو عكاشة أن إحدى وظائف الكاريكاتير هو التنبأ بالأحداث القادمة وتصويرها وبالتالي المساهمة في مواجهة أي مشاكل مستقبلية واقتراح حلول، أما تنفيذها فمن وظيفة الحكومات[٤]. وسجل بعض الرسامين توقعاتهم لعدد من الوقائع والأحداث، مثل ازدياد انتشار الفساد وارتفاع معدل الجريمة والعنف نتيجة لنقص فرص العمل خاصة بعد تضاؤل فرص عمل المصريين في دول الخليج. والحقيقة أن نقص العمل في مصر يعتبر مثار قلق شخصي لدى رسامي الكاريكاتير في الوقت الذي لا يوجد فيه فرص للنشر أمام كثير من شباب الرسامين. ويعتقد الرسامون بأن الرسم في هذا الموضوع لا يكون فعالًا، إلا أنه يزيد من الوعي عند الشباب المصري حول حقيقة الوضع وحول حقيقة "الوظائف الزائفة" التي تعلن عنها الحكومة مرارًا لتخفيف حدة التوتر.

---

(١) جورج بهجوري، مراسلة بريدية، ٢٢ يونيو ٢٠٠٣.
(٢) عبد الحليم البرجيني، مقابلة شخصية، يونيو ٢٠٠٣.
(٣) محمد عمر، مقابلة شخصية، يونيو ٢٠٠٣.
(٤) رانيا صالح:
Rania Saleh (2004). Egyptian Political Cartoons: Evolution and Impact As Seen By the Cartoonists Themselves, M.A. Thesis, Department of Journalism and Mass Communication, the American University in Cairo (AUC).

وتوقع الرسامون بأنه في الوقت الذي يحدث فيه تقييد في حرية الصحافة المكتوبة، ستشهد الصحافة الإلكترونية ازدهارًا غير مسبوق والتي سيرتفع فيها سقف الحرية وستكون نافذة للرسامين لنشر أعمالهم الممنوعة أو المرفوضة، وهو ما حدث بالفعل.

وقبل الثورة، تنبأ البعض أن يصبح جمال مبارك الرئيس القادم، وسيكون ذلك في الغالب في فترة حياة مبارك، في الوقت الذي يسجلون فيه رفضهم لما أسموه بـ "توريث السلطة"! وانقسم الرسامون حول مساحة الديمقراطية إن حدث وتسلم جمال السلطة، فالبعض تنبأ بزيادة مساحة حرية التعبير بينما يرى البعض الآخر (وهم الأغلبية) أنه سيحدث انخفاض تراجيدي في سقف الحرية عن ما كان متاحًا في عصر مبارك وأنه سيتم نشر فقط الرسوم التي تؤيده أو تحرض على قبوله. ومع أن قدومه للسلطة سيكون من خلال انتخابات رئاسية إلا أنها ستشهد غياب رسوم كاريكاتورية مؤيدة لأي مرشح.

وتنبأ عمرو عكاشة عام ٢٠٠٣ باستمرار "المحاولات الأمريكية الإسرائيلية لتحييد مصر نهائيًا وذلك بفصل جنوب السودان عن شماله خلال الـ ٦ سنوات القادمة وبذلك يتم الالتفاف حول مصر وتهديد الأمن القومي المصري من الجنوب، وكل ذلك استكمالًا لمخطط تقسيم الدول العربية والذي بدأ تنفيذه في العراق مرورًا بسوريا وانتهاءً بمصر، والتي سيتم فيها محاولة تقسيمها إلى ٣ دويلات: دولة مسلمة في الشمال، مسيحية في الجنوب بالإضافة إلى دولة النوبة![1]" وقد تحققت نبوءة عكاشة الخاصة بالسودان وفي الفترة الزمنية التي حددها!!

كما تنبأ عكاشة (٢٠٠٣) بتولي "حكومة إسرائيلية أكثر تطرفًا ومحاولة جر مصر لخوض حرب إقليمية تنتهي بحرب بين مصر وإسرائيل وكل ذلك خلال الـ ١٠ سنوات القادمة على الأكثر وتلك الحرب يتم على أثرها تهجير الفلسطينيين إلى سيناء وجعل سيناء تحت الحماية الدولية أو بالأصح الأمريكية، وبذلك يكتمل الحلم الإسرائيلي بقيام دولة إسرائيل الكبرى والتي تمتد من النيل إلى الفرات"[2]!

ويعتقد عكاشة (٢٠٠٣) أيضًا أن مصر سوف تتأثر "بالحرب العالمية الثالثة التي ستندلع بين أمريكا والصين حيث ستشكل فيها أمريكا تحالفًا دوليًا تشارك فيه أوروبا وكذلك الدول الإسلامية بقوات وكل ذلك سيتم في خلال العشرين سنة القادمة حيث سيبلغ المارد الصيني أوج قوته وسيحاول الوقوف أمام السيطرة الأمريكية على موارد الطاقة

(١)عمرو عكاشة، مقابلة شخصية، ١ يونيو ٢٠٠٣.
(٢) عمرو عكاشة، المرجع السابق.

في الكرة الأرضية ويظهر ذلك من تحليل علاقات الترقب بين أمريكا والصين والتي بدأت منذ الستينيات وظهرت جلية واضحة في أزمة طائرة التجسس الأمريكية والتي حاولت المقاتلات الصينية التحرش بها، كذلك محاولة أمريكا الالتفاف حول الصين وإنشاء القواعد العسكرية في منطقة آسيا الوسطى ومنطقة الخليج مما يؤكد الاستعدادات الأمريكية المبكرة لمواجهة المارد الصيني والتي ستزيد من احتمالات المواجهة في خلال السنوات القليلة القادمة"[١].

وتنبأ جورج بهجوري (٢٠٠٣) بزيادة معدل التطرف الديني وصعود الجماعات الإسلامية المتشددة والتحكم باسم الدين في الزي والعادات وانتشار النقاب، وتجدد المحنة والأزمة الكبرى للبحث عن نائب للرئيس. ومع ذلك يحتفظ بهجوري دائمًا بتفاؤله وقناعته بأن جمال وسحر نهر النيل سيزداد جمالًا يومًا بعد يوم، وأن لابد وأن ستشهد مصر مستقبلًا أفضل. ويعتقد بهجوري بأن الرسوم الكاريكاتورية ما قبل ثورة يوليو ١٩٥٢ كانت أقل تأثيرًا من مثيلاتها في فترة الستينيات، الفترة التي شهدت تألقًا في الرواية والمسرح والفيلم، وذلك بسبب التضييق على حرية الرأي والإحباط الذي أصاب الرسامون[٢].

وكما سبق وأن أشرنا فقد تنبأ بعض الرسامين بهبوب رياح التغيير وحدوث ثورة تنهي نظام مبارك وتكون بداية لنظام جديد تتنفس فيه مصر قدر من الحرية تستطيع من خلالها القضاء على بؤر الفساد فيها.

وتنوعت شكل الرقابة على الرسوم الكاريكاتورية من عصر إلى آخر كما سبق وأشرنا. فلم تكن مهنة الرقيب تتطلب مؤهلات عليا أو حتى مهارات فنية محدودة إنما حساسية مرهفة لكل ما يمكن أن يقلق منام النظام أو الحكومة. كان في كل دور نشر رقيب يفحص كل كلمة أو رسمة أو صورة وله الصلاحيات لحذف أو منع نشر ما يراه غير ملائمًا أو لاذعًا أو فيه تجاوز للخطوط الحمراء. ومع ذلك لم يمنع وجود الرقيب أصحاب الرأي ومنهم الرسامين من نشر آرائهم وإن اعتمدوا كثيرًا على سرعة بديهية وذكاء القارئ وقدرته على فهم ما بين السطور وبواطن الكلمات.

قبل ثورة يوليو ١٩٥٢، كانت الرقابة الصارمة غالبًا ما تفرض على الصحف مواكبة لإعلان الأحكام العرفية في الأوقات التي تشهد اضطرابات سواء داخلية أو خارجية أو حروب تكون بريطانيا طرفًا فيها. وقد كانت الخطوط الحمراء محصورة بين عدم المساس

(١) عمرو عكاشة، المرجع السابق.
(٢) جورج بهجوري، مراسلة بريدية، ٢٢ يونيو ٢٠٠٣.

بوالي مصر وعدم المساس بملك بريطانيا. وقد كان رسامي الكاريكاتير يصبون جام غضبهم على الحكومة المتمثلة في شخص رئيسها من باب قناعتهم أن الملك يملك ولا يحكم. وقد تغير هذا الاعتقاد بشكل تراجيدي وخسر الملك الكثير من رصيده لدى الرسامين بعد النكبة التي حلت من جراء حرب فلسطين ١٩٤٨، والتي شاع تورط الملك ورجاله فيما عرف بقضية الأسلحة الفاسدة. ومن هنا بدأ الإشارة إلى الملك أو فساد السراي بشكل رمزي في الكاريكاتير.

وقد ظهر في رسوم صحف صنوع نقد لاذع مباشر لشخص الخديوي إسماعيل ومن بعده الخديوي توفيق كما سبق وأشرنا، وتم مصادرة صحيفته الأولى "أبو نظارة زرقاء" لنقدها اللاذع للخديوي تبعها نفي صنوع لباريس (وفقًا لروايته). أما صحفه الأخرى فقد أصدرها من باريس في ظروف مختلفة تسمح له باختراق الخطوط الحمراء

كما كان هناك حذر واضح من تناول شخصيات تنتمي للأسرة العلوية الحاكمة أو شخصيات دبلوماسية إنجليزية في الكاريكاتير. وكان هذا سببًا وراء استخدام الرسامين (خاصة في العشرينيات) الديباجة المتبعة عند الإشارة لأي من المسؤولين البريطانيين، فعلى سبيل المثال كانت الإشارة للمندوب السامي البريطاني بـ "فخامة المندوب السامي"، وإن ذكر الاسم مجردًا فلابد وأن يسبقه "مستر"، بشكل لا يتناسب أحيانًا مع القالب الفكاهي الساخر للكاريكاتير. وقد تم التحرر من هذه الديباجة تدريجيًا، وزادت حدة النقد اللاذع للسياسة البريطانية في أوائل الخمسينيات وخاصة بعد إلغاء معاهدة ٣٦ من خلال تشخيص دبلوماسيها كاريكاتوريًا أو من خلال توظيف الشخصية الكاريكاتورية "جون بول"، التي كانت فيما يبدو ملاذًا للرسامين حيث يرتفع عندها سقف النقد إذا ما قورنت بشخصيات بريطانية حقيقية.

وأشار عبد المنعم رخا إلى حقيقة ومشكلة الرقيب في كاريكاتير نشر في "أخبار اليوم" عام ١٩٤٥، حيث صور "ابن البلد" يخاطب مدير المتحف المصري آنذاك الأب دريتون ويشير إلى تمثال "الكاتب" الفرعوني قائلًا: "التمثال ده ناقص...عندنا دلوقتي كل كاتب لازم يكون جنبه رقيب!"

شكل ٦٠٧: تمثال الكاتب في المتحف المصري!
(أخبار اليوم، ٢٨ ابريل ١٩٤٥)

ويرى مصطفى أمين أنه عندما ألغيت الرقابة عام ١٩٥٠ حل محلها ما كان يعرف باسم "مصادرة البوليس"، وكان المتبع أن تنتظر الحكومة أولًا طبع كل كميات العدد الذي تريد مصادرته ثم تنقض عليه! وكان بمقتضى قانون المصادرة، يتم القبض على رؤساء التحرير صباحًا ثم يفرج عنهم ظهرًا بكفالة. وقد تم مصادرة "أخبار اليوم" مايقرب من ٢٥ مرة خلال عام ١٩٥٠، وتم القبض على مصطفى أمين ٢٦ مرة خلال عام ١٩٥١، ولم يحدث أن تجاوزت مدة القبض في أي مرة على الساعات الممتدة من الصباح حتى الظهر، ومع ذلك كان يعتبرها اعتداءً على الحرية حتى جرب السجن لمدة ثماني سنوات ونصف في عهد عبد الناصر[(١)].

هناك اتفاق عام بأن الرسوم الكاريكاتورية لرسامي الثورة كان لها تأثير أقوى بكثير من رسوم الثمانينيات وما بعدها. ويقصد هنا برسامي الثورة، الرسامون الذين مهدوا برسومهم لثورة ١٩٥٢ حتى ولو بدون وعي منهم وعلى رأسهم عبد السميع الذي استطاع أن يتحايل على الرقابة أوائل الخمسينيات في مناسبتين، عندما رمز للملك قبل الثورة بالبنطلون والحذاء اللامع والغوريلا وعندما أبدع سلسلة "النفاق في حديقة الحيوان" لنقد تملق السلطة المنتشر نتيجة لمنع الرأي المضاد لنظام وثورة يوليو. يرى محيى الدين اللباد أن عبد السميع كان أقرب لكونه زعيم سياسي وناشط شعبي له القدرة على شحن وتحريض الناس بسبب رسومه الجريئة والحاسمة[(٢)].

(١) ماجدة الجندي، مصطفى أمين، "صباح الخير"، ٢٩ إبريل ١٩٨٢، ص: ٢١-٢٢.
(٢) رانيا صالح:
Rania M.R. Saleh. (2007). Political Cartoons in Egypt. International Journal of Comic Art. 9(2). 187-225

وشهد النصف الأول من القرن العشرين حبس اثنين من الرسامين: رخا الذي سجن بسبب إحدى رسومه التي نشرت وفيها سب للملك (كما أشرنا سابقًا)، مع نفيه التام أن يكون قد تم ذلك بعلمه، وزهدي العدوي الذي سجن بسبب انتماءاته السياسية ضد النظام.

وأحدثت ثورة يوليو تغييرًا جذريًا لنظام الحكم والمناخ السياسي في مصر، فمن الملكية القائمة على "الليبرالية" وتعدد الأحزاب والنظام الاقتصادي الرأسمالي إلى الجمهورية القائمة على "الفردية" والنظام الاشتراكي. وشهدت الفترة التي تلت الثورة أهم حدث على الإطلاق، وهو صدور قانون تنظيم الصحافة في ٢٤ مايو ١٩٦٠، فيما يشير إلى رفض الثورة الواضح لمفهوم الليبرالية أو حرية الرأي[١].

ولم تغير الثورة من واقع الرقيب شيئًا ولم تقلص صلاحياته بل اتسمت فترة ناصر بوجود رقيب في كل دار نشر أو مؤسسة صحفية وله صلاحية لمنع النشر إذا شك فقط في مدلول كلمة أو رسمة ما. فعلى سبيل المثال، يذكر مصطفى حسين بأنه في ذات مرة سئل عن المغزى وراء الرقم الذي وضعه على ملابس أحد المسجونين في إحدى رسومه[٢]!!

أطلق رخا على السنوات التي أصيب فيها الكاريكاتير السياسي بالضعف والهزال والخرس بـ "سنوات الحصار" التي لم يجرؤ أحد وقتها على النقد. يقول رخا بأنه منذ قيام ثورة يوليو وقد توقف عن رسم الشخصيات، لأن كل الأشخاص القريبين من السلطة بما فيهم حتى "الصول"، كانوا يعتبرون أنهم في القمة ولا يصح رسمهم، لأن في رسمهم احطاطًا من قدرهم. وكانت العواقب وخيمة إذا تم نقد أي منهم، إلى الدرجة أن الرسام لا يستطيع أن يتوقع ما يمكن أن يحدث له تحديدًا، لأنه كما جاء على لسان رخا "مفيش قانون .. مفيش محاكمة .. فيه بطش"، وبالتالي فإن الخرس الكاريكاتوري جاء كنتيجة ليكون الرسام في منأى من التعرض للامتهان والتعذيب، يقول رخا: "أنا أسمح بأن يحكم علي بالأشغال الشاقة المؤبدة .. ولا أقبل أني آخد قلمًا على قفايا"[٣].

نظريًا جاء الرئيس الراحل أنور السادات بأهم انجاز وهو إلغاء الرقابة على الصحف عام ١٩٧٤، القرار الذي استقبل بحفاوة شديدة وبالتالي لم يصبح لمهنة الرقيب أي وجود.

---

(١) كريمة حسن، صاحبة الجلالة: ٤٨ سنة من التأميم، "المصري اليوم"، ١٣ يونيو ٢٠٠٨، عدد ١٤٦١.

(٢) رانيا صالح:
Rania M.R. Saleh. (2007). Political Cartoons in Egypt. International Journal of Comic Art. 9(2), 187-225

(٣) سعيد أبو العينين، "رخا..فارس الكاريكاتير"، أخبار اليوم، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص: ١٤٣.

وقد نشر ناجي كامل كاريكاتيرًا معلقًا على إلغاء الرقابة وفيه شخص يحاول من خلال ثقب في جريدة اختلاس النظر الى سيدتين تسيران أمامه وتخاطب إحداهما الأخرى قائلة :"يظهر أنه لسه معرفش بخبر إلغاء الرقابة على الصحف!"

شكل ٦٠٨: إلغاء الرقابة على الصحف!
(روزاليوسف، ١٨ فبراير ١٩٧٤)

وقد ساد الاعتقاد لفترة وجيزة بأن الإلغاء جاء انتصارًا لحرية الرأي والتعبير، إلا أنه سرعان ما تبين أن الواقع قد تغير للأسوأ عندما أعطى السادات لرئيس التحرير صلاحيات فاقت صلاحيات الرقيب، المشكلة التي تفاقمت ويعاني منها أصحاب الرأي حتى يومنا هذا. فأصبح رئيس التحرير هو الرقيب في ثوبه الجديد، وتنوعت الخطوط الحمراء وتفاوتت من رئيس تحرير لآخر، ولم يسمح وقتها بنشر أي آراء أو رسوم تحمل معارضة لسياسة السادات ونظامه.

ويقارن مصطفى أمين بين مهنة رئيس التحرير "زمان" واليوم بعد أن انتقل إليه "مقص" الرقيب بقوله: "كانت وظيفة رئيس التحرير فيما تسميه صحافة زمان أن ينشر لكن أصبحت وظيفته في صحافة اليوم أن يشطب"[(١)]!

وظهرت معاناة رسامي الكاريكاتير مع مقص رئيس التحرير، فبينما كان الرقيب في الماضي كثيرًا ما كان يحذف كلمة أو جملة من مقالة ما، أصبح رئيس التحرير اليوم يمكنه أن يرفض نشر مقالة كاملة أو كاريكاتير يتعارض مع أجندته الخاصة أو يراه مهددًا لمنصبه. وتحدث ناجي كامل عن تجربته الشخصية عندما تفاجأ بكاريكاتيره قد نشر بعد أن تم تغيير

(١) ماجدة الجندي، المرجع السابق، ص: ٢٣.

التعليق به بدون الرجوع إليه، وكيف أنه أعرب مرارًا لرئيس التحرير بأن إلغاء الكاريكاتير كلية أهون عنده مائة ألف مرة من أن يتم التعديل فيه بدون الرجوع إليه[١]!

ومع إن عصر مبارك قد شهد إثراءً في الحياة السياسية من خلال ظهور عدد لا بأس به من الصحف المعارضة والخاصة، فإنه شهد سجن أول رسام كاريكاتير بسبب رسومه وهو الرسام عصام حنفي الذي ذاق ويل الحبس ثمنًا للتعبير عن رأيه وعن رأي جريدته "الشعب" من خلال رسومه ضد وزير الزراعة السابق يوسف والي.

وسرعان ما ظهرت أسوأ أنواع الرقابة على الاطلاق في عصرنا الحديث وهي "الرقابة الذاتية" التي يطبقها رسام الكاريكاتير على نفسه ليتجنب مشاكل لا طائل له بها. يعتقد الرسامون بأن هناك عددًا لا نهائيًا من الخطوط الحمراء الغير مكتوبة و لتي يجب عدم المساس بها في أعمالهم والتي لم تملى عليهم صراحة من أي طرف. ويفكر الرسامون بتأني قبل تخطى أي منها وقياس ما إذا كانت هذه المجازفة تستحق العناء أم لا، هذا بالإضافة لقناعتهم الشخصية بأنهم حتى لو تجاوزوا أيًا منها فلن يجدوا من يقبل نشرها.

وكان هذا سببًا قويًا لأن يجد الرسامون في العالم الافتراضي بالشبكة العنكبوتية (الإنترنت) متنفسًا لنشر رسومهم الممنوعة أو المرفوضة، والتي لاقت إقبالًا جماهيريًا خاصة من خلال مواقع التواصل الاجتماعي مثل "فيس بوك" و"تويتر"، مما دفع بعض الصحف إلى رفع سقف الحرية بها لتواكب الجرأة التي تميزت بها المواقع الإلكترونية وبالتالي تجذب جماهيرها، بل إن الصحف نفسها قد سعت إلى هذا الجمهور بفتح حسابات لها وصفحات على مواقع التواصل الاجتماعي مع استخدام لغة أكثر جرأة مما تستخدمه في النسخة المطبوعة.

ويرى بعض الرسامين بأنه بالرغم من أنه كان لديهم قدر أكبر من الحرية إلا أن رسومهم لا تملك نفس تأثير رسوم الزمن الماضي. ويعلل جمعة فرحات ذلك بقوله: "الحرية ليست فقط أن نقول ما نريد بينما تفعل الحكومة ما تريد!" ويستطرد: "الحرية أن يكون لك تأثير ومن ثم تسبب التغيير"[٢]. ويعتقد ماهر داود بأنه حتى لو حدث وتحررت الرسوم الكاريكاتورية من قبضة رئيس التحرير فإنها ستزال بلا تأثير لأن المسؤولين بالحكومة بكل بساطة سيتجاهلونها كأنها غير موجودة[٣].

(١) رانيا صالح، المرجع السابق.
(٢) رانيا صالح، المرجع السابق.
(٣) ماهر داوود، مقابلة شخصية، يونيو ٢٠٠٣.

ويرى طه حسين أن هناك مشكلة تواجه الرسامين والسبب وراء تراجع جودة لكاريكاتير وهي انتشار ظاهرة المحسوبية واختفاء العديد من الرسامين الأكفاء سواء لاعتزالهم أو لموتهم. ويعتقد تامر يوسف بأنه ثمة فجوة حدثت بين الرسام وجموع الشعب. ففي الماضي كان الرسام يقضي معظم وقته على "القهاوي" ووسط الناس العادية يتواصل معهم. أما اليوم، فعدد من الرسامين يتصرفون كشخصيات مهمة (VIP) ولا يتواصلون إلا مع النخبة المثقفة[1].

ويؤكد سمير عبد الغني بأن هناك حاجة إلى أماكن للتدريب مثل مجلة "روزاليوسف" التي كانت تعتبر مدرسة، تخرج منها معظم الرسامين الذين كانت أعمالهم لها تأثير في مصر والعالم العربي. ويرى تامر يوسف بأن السبب في تدهور حال الكاريكاتير يكمن في غياب إتحاد قوي يحمي الرسامين ويوفر لهم المساعدة ويساهم في حل مشاكلهم والعقبات التي تقف في طريقهم[2].

وهنا نتساءل هل رسم الرسامون مبارك؟ أو هل كان مسموحًا برسمه؟ كسابقيه من الرؤساء، ظهر مبارك "كاملًا" في الرسوم الكاريكاتورية التي غالبًا ما تهدف إلى مدحه وتصوره كقائد في احترام واجلال، لكن لم يظهر "كاملًا" في حالة انتقاده إلا في الرسوم التي نشرت على صفحات بعض مدونات النشطاء على الانترنت، وفي شكل ملصقات استخدمت في المظاهرات التي خرجت تندد بالنظام وتطالب بإصلاحات جذرية فورية.

واتجه عدد محدود جدًا من الرسامين، مثل عمرو عكاشة، خاصة في السنوات الأخيرة من حكم مبارك، إلى نقده من خلال رسم جزء من ملامح وجهه، مثل الأنف مثلًا، بشكل كان يحمل إيحاءً واضحًا للقارئ بأن المسؤول المستهدف هو مبارك.

وأعرب بعض الرسامين بأنهم لم يكونوا ضد مبارك لشخصه، خاصة في الفترة الأولى من حكمه، بل على العكس كانوا يرونه شخصًا جيدًا على المستوى الإنساني، ولكنهم كانوا ضد سياسته التي اتخذت خطًا مضادًا للإصلاح والوقوف ضد الفساد. ولذلك لم يكن غريبًا أن رسم أغلب الرسامين ضد محاولات الاغتيال التي استهدفت مبارك وأعربوا عن فرحتهم بنجاته. إلا أنه لا مانع أيضًا أن هناك عدد من الرسامين من بالغوا في الإعراب عن حبهم لمبارك بشكل لا يتماشى مع فن الكاريكاتير كفن معارض، فمنهم من رسم يحتفل

(١) رانيا صالح، المرجع السابق.

(٢) رانيا صالح، المرجع السابق.

بعيد ميلاده ويهنئه على سلامة رجوعه إلى أرض الوطن بعد أن مضى فترة في الخارج، كرحلة دبلوماسية أو علاجية.

وأشار طوغان (١٤ يونيو ١٩٩٩) إلى جهود مصر المتمثلة في رئيسها مبارك وهي تحاول إنقاذ عملية السلام بدعوتها إلى قمة عربية تعمل على رأب الصدع وإزالة الخلافات وتوحيد الصفوف.

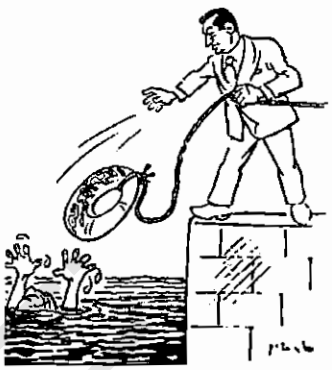

شكل ٦٠٩: القمة العربية وطوق النجاة!

(طوغان[١]، ٢٠٠١)

ورسم بهجوري مرحبًا بعودة مبارك سالمًا من الخارج، بينما عبر فرج حسن عن أمله في أن يضع مبارك حلًا للحد من الغلاء، في حين يرى ناجي في مساعي مبارك شعلة مضيئة ستنعكس حتمًا على حاضر ومستقبل مصر.

شكل ٦١٠: عودة مبارك!

"حمدلله على سلامتك يا ريس وبالمناسبة دي حارسمك بخط واحد!"

(الأهرام، ١٥ مارس ٢٠١٠)

(١) أحمد طوغان، "يوميات الكاريكاتير في قضية فلسطين (١٩٩٧ – ٢٠٠٢)"، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١، ص: ٢٠١.

شكل ٦١١: الغلاء!

مواطن: "مش قلتلكم الريس معانا ما تخافوش"

(الأهرام، ١٠ إبريل ٢٠٠٨)

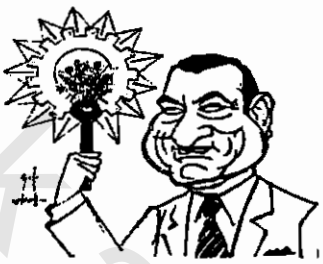

شكل ٦١٢: مبارك والشعلة!

(الأهرام، ٤ مايو ٢٠٠٨)

شكل ٦١٣: مصر اليوم وغدًا!

(الأهرام، ١ ديسمبر ٢٠٠٧)

كانت هذه النوعية من الرسوم الكاريكاتورية غالبًا ما يرسمها الرسام برغبته، أي ليس إملاءً من رئيس التحرير. فالغالب أن رئيس التحرير وإن يملك مقص الرقيب، إلا أنه لا يستطيع أن يرغم صاحب رأي بتناول قضية ما بشكل يخالف ضميره أو اعتقاده. لكن في النهاية يجب الإشارة بأن هذه النوعية من الرسوم لا تظهر غالبًا إلا في الصحف القومية أو الحكومية.

ونشرت مدونة "الوعي المصري" عددًا من الرسوم لطنطاوي متماشية مع مظاهرات ٢٠٠٥ ضد ترشيح مبارك لفترة رئاسية جديدة.

شكل ٦١٤: الرئيس المصري ١٥٩ سنه!

"الأهرام ٥ يوليو ٢٠٤٥، رئيس التحرير نافع السابع عشر، وليخسأ الخاسئون"

"الرئيس في حوار مع رئيس الأهرام نافع السابع عشر: لسه عندي كتير أقدمه لمصر..افتتاح كوبرى مبارك الـ ٢٩٢ الشهر المقبل..مازلت لم أقرر بعد ترشيح نفسي للفترة الرئاسية الـ ٥٧.. بعد وفاة ابني وحفيدي والمعارضه اعتقد اني اقرب المرشحين للرئاسة .. مازلنا ندرس إلغاء قانون الطوارئ والإرهاب والمعتقلات والتعذيب"

(الوعي المصري[١]، ٢٩ يوليو ٢٠٠٥)

شكل ٦١٥: لا للتوريث!

"الرئيس مبارك يعلن ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية!

(الوعي المصري[٢]، ٢٩ يوليو ٢٠٠٥)

(١) وائل عباس، مظاهرة ضد الدور المصري في غزة، "الوعي المصري"، ٢٩ يوليو ٢٠٠٥، تم الاطلاع في ١٠ يونيو ٢٠١١ من على الموقع الإلكتروني:
http://misrdigital.blogspirit.com/archive/2005/07/ ndex.html

(٢) وائل عباس، المرجع السابق.

ومما لا شك فيه أن الرسوم الكاريكاتورية كان لها دور في التحريض ضد نظام مبارك وكشف الفساد، وأن ثورة يناير جاءت مخالفة لتصور بعض الرسامين بأن رسومهم لا تملك نفس التأثير لتلك في الماضي، فهي لا تسقط نظامًا ولا تستطيع إجبار الحكومة على اتخاذ قرارات إصلاحية. ومع ذلك فقد تنبأ بعض الرسامين بهبوب رياح التغيير (كما سبق وأشرنا) وأنها السبيل الوحيد لوقف نزيف الفساد.

وبالفعل قامت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ لتخلع رأس النظام بعد ثمانية عشر يومًا من الاحتجاجات، تدرجت الدرجة التي عبرت فيها الرسوم عن الحدث من المتحفظة في نقل صوت الثورة، للحذر من الثورة، للمواكبة للاحتجاجات لحظة بلحظة، للمحرضة على النزول للميادين وإسقاط النظام. كان العامل الأساسي وراء ظهور هذا التفاوت في الرسوم هو توجهات الصحف التي سمحت بالنشر، وبالتالي ليس من العدل تحميل الرسام مسؤولية مباشرة لعدم تحريضه لصالح الثورة وقت حدوثها، فعصا التحريض كانت بيد رؤساء التحرير وملاك الصحيفة سواء أحزاب أو أفراد.

وأكثر صحيفة استوقفتني هي صحيفة "الأهالي" التي لا نبالغ إن قلنا أنها كانت ضد سياسة مبارك على طول الخط ولم تنحرف يومًا عن هدفها، وبالتالي كانت من أكثر الصحف المعارضة تشددًا وأعلاها صوتًا. واتسمت الرسوم الكاريكاتورية "بالأهالي" بالجرأة تماشيًا مع الصوت العالي للصحيفة. إلا أنها وقت الثورة اعتمدت أكثر على الصور الفوتوغرافية، إلا في أضيق الحدود بنشرها عدد من الرسوم للرسامة سحر.

ويبقى أن نتساءل عن ملامح الكاريكاتير المتوقعة ما بعد ثورة ٢٥ يناير. يرى أحمد عبد النعيم أن الكاريكاتير استطاع داخل منظومة متكاملة أن يمهد للثورة، وأن سقف الحرية داخل الجرائد قد ارتفع بشكل واضح بعد الثورة خاصة بعد أن تم تغيير عدد من رؤساء التحرير، ومن اللافت للنظر أن الصحف التي يطلق عليها قومية استطاعت أن تتحول سريعًا وتأخذ لونًا جديدًا لاستيعاب القارئ الجديد الذى لن يقبل أن يتم الضحك عليه بعناوين براقة مره أخرى[1].

ويعتقد عمرو عكاشة بأن الرقابة على الرسوم سوف تتلاشى تدريجيًا، فبعد انتقاد مبارك بشخصه انكسر التابوه الرئيسي أمام الرسامين، وانكسرت بالتالي القيود التي كانت تتحكم في مواد النشر سواء كانت قيودًا من قبل أجهزة رسمية أو غيرها[2]. ويعتقد هاني

(١) أحمد عبد النعيم، رسالة إلكترونية، ٢٤ يوليو ٢٠١١.
(٢)عمرو عكاشة، رسالة إلكترونية، ٩ يناير ٢٠١٢.

شمس بأن الرسامين قد تحرروا من أهم القيود على الإطلاق وهي "وضع الحاكم في مصاف الآلهة بمعنى أنه منزه عن النقد ولا يجب أن يتحدث عنه أحد الا بالمدح فقط"[١].

ويؤكد شريف عرفة بأنه على الرغم من أن الرسامين قد تحرروا بالفعل من أهم قيد على الإطلاق، وهو رسم مبارك بعد أن كان يعامل كشخصية مقدسة، إلا أن بعض المؤسسات ستلعب نفس الدور القديم في نفاق السلطة أيًا كانت، وبالتالي ستقوم بفرض رقابة على الرسامين طبقًا لتوجهاتها[٢].

ويرى تامر يوسف أن شخصية مبارك كانت ترسم في مناسبات محددة من باب التودد مثل يوم عيد ميلاده ويوم ذكرى حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، وكان رسامو الصحف القومية كثيرًا ما يتبرعون بالرسم في هذه المناسبات، التي تشبه كثيرًا موضوعات التعبير التي تأتي في امتحانات الشهادات العامة في مادة رسم مثل "في عيد تحرير سيناء أرسم ما يعبر عن فرحة الشعب المصري بقائده صاحب الضربة الجوية الأولى"[٣]. ولا يعتقد يوسف بأنه من الممكن الوصول إلى رسم شخص الرئيس في كاريكاتير تهكمي ساخر مثلما يحدث بشكل يومي في فرنسا أو ألمانيا أو الولايات المتحدة الأمريكية مهما بلغت سعة صدر الرئيس القادم[٤].

ويعتقد عكاشة بأنه سيتوقف تناول رئيس الجمهورية القادم في الكاريكاتير على طبيعة المكان القادم منه، فلو جاء من المؤسسة العسكرية وكان متجهمًا أي يتعامل بشكل عسكري، بالطبع لن يقبل بالنقد، وسيتم التحرش بالرسام إن أصر على النقد واتخذ من مواقع التواصل الاجتماعي مثل موقع "فيس بوك" قنوات للنشر، وبالتالي سيلجأ الرسام إلى الرمز كما كان في الماضي. وفي حالة أن رئيس الجمهورية قادمًا من جهاز كالمخابرات مثلًا، فيتوقع عكاشة أنه "سوف تحدث عدة حوادث اعتداء من مجهولين تجاه من يبالغ في نقده"، والتي ستظهر على أنها حوادث قدرية[٥].

ويرى عبد النعيم أنه كان متعارفًا تصوير الرئيس في الكاريكاتير بمقاييس القائد المنتصر من شموخ ونصر وقوة، قد يصل إلى درجة النفاق، وكانت هذه النوعية من الرسوم كثيرًا ما تظهر في الأعياد والمناسبات القومية، فتجد كاريكاتيرًا يصور مصر تعطي الرئيس

(١) هاني شمس، رسالة إلكترونية، ١١ يناير ٢٠١٢.
(٢) شريف عرفة، رسالة إلكترونية، ١١ أغسطس ٢٠١١.
(٣) تامر يوسف، رسالة إلكترونية، ١٨ يناير ٢٠١٢.
(٤) تامر يوسف، المرجع السابق.
(٥) عمرو عكاشة، رسالة إلكترونية، ٩ يناير ٢٠١٢.

باقة من الزهور أو درع النصر[١]. ويعتقد عبد النعيم أنه بعد الثورة سوف يتحقق لرسام الكاريكاتير قدرًا أكبر من الحرية يستطيع من خلالها تناول شخص الرئيس، ولكنها حرية محكومة بأعراف الشعب وتقاليده وخلفيته الدينية التي في ظلها لن يصل أبدًا النقد إلى الدرجات التي نراها في الرسوم الغربية بأى حال من الأحوال[٢].

ويعتقد كل من شمس وعكاشة ويوسف بأن الرسامين سيواجهون نفس المشكلة الأزلية المتمثلة في رئيس التحرير، الذي لايزال يملك أن يرفض نشر مواد يرى فيها تهديدًا لمنصبه، خاصة أولئك المعينين من قبل الدولة أو الأجهزة التابعة لها.

ويرى عكاشة بأن التوسع فى استخدام التكنولوجيا قد قلل كثيرًا من سلطة رئيس التحرير، فبعد ظهور مواقع مثل "فيس بوك" و"تويتر"، أصبح من الصعب منع أى كاريكاتير من النشر. فعلى سبيل المثال، قدم عكاشة كاريكاتيرًا يتناول القوى السياسية المتمثلة في الأحزاب بعد ثورة ٢٥ يناير، إلا أنه قد طلب منه تعديلًا لأحد الأشخاص في الكاريكاتير والذي يرمز لحزب الوفد، فما كان من عكاشة إلا أنه رفض التعديل ونشره بدلًا من الصحيفة على الموقعين، وبالتالي استطاع أن يوصل ما يريده لعدد من قرائه في النهاية[٣].

ويرى عكاشة أن التطرف الديني هو من أهم التحديات التي سيواجهها رسامو الكاريكاتير خاصة بعد دخول ذوى الاتجاهات الدينية مجلس الشعب الذى يمكن أن يناقش مشروعات قوانين من الممكن أن تحد من الحريات أو تقيدها. ويتوقع عكاشة أن الرسامين لن يقفوا صامتين بل سيحرضون ضد مثل تلك القوانين، وبالتالي من المتوقع أن يحدث صدام، لأن المشكلة تكمن في أن أصحاب التوجه الديني لا يقبلون بنقدهم ويعتبرون نقدهم من نقد الدين. ويعتقد عكاشة أن الأمر لن يقف عند حد رفضهم للنقد، بل سيصل لما هو أبعد من ذلك، لقضايا الحسبة والتكفير التى يمكن أن ترفع على أى شخص كائنًا من كان[٤].

بينما يعتقد شريف عرفة بأنه لن يكون هناك وجود للرقابة السياسية، ولكن سيتوقع مزيد من الرقابة الدينية بفعل صعود التيارات المتشددة التي ستلعب دورًا كبيرًا في الفترة القادمة[٥].

(١) أحمد عبد النعيم، رسالة إلكترونية، ٢٤ يوليو ٢٠١١.
(٢) أحمد عبد النعيم، المرجع السابق.
(٣) عمرو عكاشة، رسالة إلكترونية، ٩ يناير ٢٠١٢.
(٤)عمرو عكاشة، المرجع السابق.
(٥) شريف عرفة، رسالة إلكترونية، ١١ أغسطس ٢٠١١.

ويرى تامر يوسف أن الرسام كارولس لاتوف قد تخطى الحدود الجغرافية وتخطى كل حدود القيود الفكرية، لأنه ببساطة تواصل مع أصحاب القضية وكأنه أحد أبناء ميدان التحرير. إلا أنه مع الأسف، كل من نهج نفس الاتجاه من الرسامين المصريين تم تجنيبه من النشر مثل أحمد نادي الذي رسم معايشًا ومعصرًا للأحداث. ولم يكن هو الرسام الوحيد الذي تم تهميشه، فيوسف هو أيضًا واحدًا من الرسامين المصريين الذين لا ينشرون ولا يعملون على الإطلاق، بعد أن تم تجنيبه من العمل بجريدة "الأهرام" بعد أن أمضى فترة الثورة بالكامل بين أروقتها وميدان التحرير[1]!

وتبدو نظرة عكاشة تشاؤمية لشكل مستقبل مصر بعد ثورة ٢٥ يناير، فهو يرى أن مصر ستتحول من سيء إلى أسوأ فأسوأ، وهذا نتيجة لتفشي الجهل والفقر الذي يعاني منهما الشعب، مما يجعله فريسة سهلة لذوي الاتجاهات الدينية، وبالتالي لا يصلح معه ديمقراطية بأي حال من الأحوال. كما ستشهد البلاد محاكم تفتيش جديدة، ولكنها هذه المرة على الضمائر، مع بقاء المحسوبية والرشوة واللتين قد تتغير اسمهما إلى أسماء إسلامية، ليغطي المجتمع عوراته بزي أسود في حين يبقى الجوهر[2].

ولا يبدو شمس متفائلًا هو أيضًا لشكل مستقبل مصر، فبالرغم أنه يتوقع بعض التعديلات الدستورية وبعض التحسن في الأداء الديمقراطي، إلا أنه يرى بأن الثورة لم تكن ثورة كاملة، بل نصف ثورة ونصف انقلاب عسكري، وبالتالي يتوقع أن يحتل منصب رئيس الجمهورية رئيسًا له خلفية عكسرية وينتمي للمؤسسة العسكرية[3].

ويرى عرفة بأن النظام السابق هو المتسبب في ظاهرة التطرف الديني المنتشرة لأنه أهمل الثقافة والتعليم، كما أن "النخبة" مشغولة بتفاصيل إجرائية قصيرة المدى ولا يلتفتون للاقتصاد. كما يعتقد عرفة بأن مستقبل مصر سيكون أفضل في حالة أن تم التخلص من "قاذورات الإعلام" أي تطهيره[4].

في حين يبدي عبد النعيم تفاؤلًا لشكل مستقبل مصر في حالة النجاح في التخلص من الأخطار التي تحاول أن تسرق أهم ما في الثورة وهو تلاحم كل قوى الشعب أمام هدف واحد، والبعد عن التمجيد الشخصي واستخدام لغة التخوين عند الاختلاف في الرأي، باختصار، سيكون مستقبل مصر أفضل في حالة النجاح في المحافظة على أخلاق ميدان

(١) تامر يوسف، رسالة إلكترونية، ١٨ يناير ٢٠١٢.
(٢) عمرو عكاشة، رسالة إلكترونية، ٩ يناير ٢٠١٢.
(٣) هاني شمس، رسالة إلكترونية، ١١ يناير ٢٠١٢.
(٤) شريف عرفة، رسالة إلكترونية، ١١ أغسطس ٢٠١١.

التحرير[1]. بينما يرى يوسف بأن مصر متخبطة الآن بين كل العناصر السياسية التي تحاول أن تثبت نفسها على حساب تقدم مصر، وأن الشعب المصري في حاجه إلى مزيد من التوعية والثقافة وتنمية القدرات حتى يعبر هذه المرحلة بآمان[2].

شكل ٦١٦: بركاتك يا ثورة..حرية التعبير!

تامر يوسف: "أخيرًا..حأرسم من غير ما يكون عندي سقف..مني للسما على طول!"

(الأهرام المسائي، ٢٢ فبراير ٢٠١١)

رموز كاريكاتورية محلية وعالمية:

ظهرت مجموعة من الشخصيات الكاريكاتورية المصرية التي لا نبالغ إذا قلنا أنها صممت في المقام الأول كأداة تحريض ضد الاحتلال أو الفساد وشغلت مكانًا مميزًا عند القارئ. كما استعانت الرسوم للتعليق على الأحداث الجارية بشخصيات كاريكاتورية عربية وعالمية مثل شخصية "حنظلة" و"عم سام" و"تمثال الحرية" و"جون بول" و"الأسد" البريطاني و"بابا نويل" و...إلخ.

(١) أحمد عبد النعيم، رسالة إلكترونية، ٢٤ يوليو ٢٠١١.
(٢) تامر يوسف، رسالة إلكترونية، ١٨ يناير ٢٠١٢.

مصر في الكاريكاتير:

كان من البديهي أن تصور مصر كأنثى في الكاريكاتير، حيث أنها تأخذ وضع التأنيث المعنوي في اللغة العربية. فرمز لمصر في العشرينيات بطفلة جميلة، شعرها أسود فاحم قصير مزين "بفيونكة" كبيرة وتحمل عروسة من القماش. كثيرًا ما كانت تقف على مرسى قناة السويس تتابع الأسطول الإنجليزي وتتساءل بطفولية عن سبب بقائه وعن وقت رحيله. كما صورت مصر على هيئة فتاة يافعة تزين وسطها بهلال وثلاث نجمات، وملكة فرعونية شابة جميلة وجذابة، وفلاحة شابة تزين رأسها بالهلال والنجمات أو ترتدي قرطين كليهما على هيئة هلال.

شكل ٦١٧: مصر!

مصر: "بقى إنجلترا علشان ما غرقت لها البارجة زيور تجيب لي الطيارات دي كلها وكمان مراكب حربية؟؟"

(الكشكول، ١١ يونيو ١٩٢٦)

كما صورت مصر على هيئة امرأة ممشوقة القوام ترتدي الجلابية والطرحة (أشبه بالفلاحة في تمثال نهضة مصر) تذرف بالدموع وهي تبكي فقيدها السادات مثلًا، وفلاحة تتشح بالسواد و"تولول" على اغتيال دستور ١٩٢٣، وسيدة شابة جميلة متوجه بالأهرامات الثلاثة ويتدلى من أذنيها قرط على هيئة هلال وهي تزيح شجرة الاحتلال عن أرض سيناء. وقد حدث وأن صورت مصر في هيئة رجل (وإن كان نادرًا)، مثل ذلك الفلاح الذي رحب بعودة ابنه (طابا) إلى أحضانه، وكذلك ذلك الفلاح الذي هب واقفًا ممزقًا لمعاهدة ١٩٣٦ ومواجهًا بثقة المدفعية الإنجليزية. ويؤكد السياق في الكاريكاتيرين على أن الرجلين

يمثلان مصر وليس الشعب المصري مثلًا. ويرجع السبب في استخدام الرسامين لشخصية رجل لتجسيد مصر، هو حاجتهم إلى تجسيد "العضلات"، في الوقت الذي عندما تصور مصر على هيئة امرأة تكون تجسيدًا "للعاطفة".

شكل ٦١٨: الفتنة الطائفية!

(الأهرام، ٤ يناير ٢٠١١)

ورمز لمصر لعقود بالأهرامات والعين الفرعونية وبأبو الهول الذي ظهر في بعض الرسوم بمخالب يهدد بها "جون بول" (الاحتلال البريطاني). كما رمز للشعب المصري برجل يمتطي حصانًا (الحكومة) ويحمل في يديه سيفًا (الصحافة).

وعلى عكس النسر الأمريكي، يقبع النسر المصري (نسر ثورة ١٩٥٢) حبيس اللونين الأحمر والأسود ولا يحمل نفس القدر الذي يحمله النسر الأمريكي من انتماء. فانحسر استخدامه على الطوابع البريدية والأختام الرسمية إلا في أضيق الحدود والمناسبات التي استدعت انطلاقه من محبسه، مثل في تلك الرسوم التي تناولت ثورة يناير.

شكل ٦١٩: النسر المصري!

"طالب بن جوريون مرة ثانية بالصلح مع العرب"

الفأر: "تيجي نصطلح!!"

(روزاليوسف، عدد ١٤٣٨)

شكل ٦٢٠: تعديل في شعار الجمهورية المصرية!
(روزاليوسف، ٢ يوليو ١٩٥٦)

تعتبر شخصية "المصري أفندي" من أهم وأشهر الشخصيات المصرية الكاريكاتورية التي شهدها القرن العشرون، وهي نتاج ابداع كل من السيدة روزاليوسف (مالكة المجلة) ورئيس تحرير "روزاليوسف" آنذاك محمد التابعي والرسام المصري الأرمني الأصل ألكسندر صاروخان، وكان أول ظهور لها عام ١٩٣٢. وقد لعبت كنميمة تمثل المصريين وتعلق على الأحداث الجارية وتلمح ببواطن الأمور وتعمل على شحن قوى الشعب ضد الاستعمار والفساد والنظم. يرتدي المصري أفندي طربوشًا ولا يظهر إلا في كامل وجاهته من أول رابطة العنق والسيديري فالبدلة والحذاء ومع ذلك لا يبدو غنيًا، إنما يرمز إلى الطبقة المتوسطة في ذلك الوقت.

إلا أنه وفقًا لسعيد أبو العينين فشخصية "المصري أفندي" لم تكن ابتكارًا بل كانت اقتباسًا من الشخصية الإنجليزية "ستريب" في "الديلي إكسبريس"، التي كان يمثلها رجل قصير يضع على رأسه "القبعة" ويمسك في يده "مظلة". فتم تحوير الصورة، لتحل محل القبعة "الطربوش" ويحل محل المظلة "المسبحة"[1].

وقد رسمت شخصية "المصري أفندي" بذكاء، ففي لغة الكاريكاتير هناك فروقات مهمة تعكس طبيعة الشخصية المرسومة من نحيل معدم لرشيق طويل جذاب لمفتول العضلات قصير غبي لمفتول العضلات معتدل شرير. وأخيرًا هذه الشخصية المغلوب على أمرها دون امتهان والتي خلت من خلايا الشر ويظهر ذلك واضحًا في ضآلة حجمها اذا ما قورنت بالشخصيات الأخرى المصاحبة لها داخل الكاريكاتير. كما أن جسم المصري أفندي القصير الممتلئ نسبيًا ووجهه الممتلئ ونظارته ذات الاطار الدائري دعمت كلها خصال الطيبة الممزوجة بفطنة فطرية تتيح له القدرة على إدراك ما يدور حوله.

(١) سعيد أبو العينين، "رخا..فارس الكاريكاتير"، أخبار اليوم، الطبعة الأولى، ١٩٩٠، ص: ١٠٨.

ونلاحظ أن "المصري أفندي" لا ينسى أبدًا سبحته!! فماذا أضافت السبحة لهذه الشخصية الكاريكاتورية والتي استمرت عقودًا؟ في رأيي أنها أضافت لها ملامح التقوى متمثلة في الأمانة في حكمه على الأشياء وفي رؤيته ومواقفه من الأحداث الجارية مما أعطى مصداقية أكبر للشخصية وللكاريكاتير بالتبعية في وقت كانت السبحة فقط في يد أكثر الناس إخلاصا وذمة!!

ولم يحتكر رسم الشخصية على صاروخان خاصة بعد خروجه مع التابعي من "روزاليوسف" ليعملا معًا بـ "آخر ساعة"، بل رسمها رسامون آخرون مثل على رقي وعبد السميع وأحمد طوغان وجورج بهجوري.

و"**ابن البلد**" شخصية كاريكاتورية وطنية نتاج إبداع كل من رسام الكاريكاتير عبد المنعم رخا والكاتب الصحفي مصطفى أمين. و"ابن البلد" رجل بسيط ضئيل الحجم في منتصف العمر، يرتدي جلباب وطاقية وكوفية ويظهر مغلوبًا على أمره ولكنه في نفس الوقت يتسم بالشهامة والشجاعة في إبداء رأيه بلا مواراة. وتعكس الشخصية مفهومًا معينًا يؤمن به رخا في وقت أصبح الشيء الأفرنجي هو الأكثر قيمة بينما يطلق مجازًا كلمة "بلدي" على كل ما هو رديء ولا قيمة له. فجاءت شخصية "ابن البلد" لتؤكد على أن كل ما هو "بلدي" هو أصيل وقيم.

كان أول ظهور للشخصية في أول عدد من مجلة "الاثنين" (١ يوليو ١٩٤١)، وقد قدمها مصطفى أمين في افتتاحية العدد ووصفها بقوله: "ابن البلد" رجل بسيط يجهل البروتوكول والتقاليد المرعية، أو لعله يتجاهلها، فهو يتحدث مع الكبراء حديث الند للند، وهو يتكبر ويتغطرس على المتكبرين والمتغطرسين. وهو يمثل ١٤ مليونًا من المصريين، سيشرب من ماء النيل القذر إلى أن يرق قلب الحكومة، فتمد أنابيب المياه الصالحة للشرب إلى أفواه الفلاحين... وهو رجل فقير مادام المصريون فقراء.."[1]

شكل ٦٢١: ابن البلد!

"مضى أسبوع لم ترتفع فيه الأسعار"
ابن البلد: "لازم اللي بيعملوا التسعيرة مسافرين الجمعة دي"
(صباح الخير، ٢٠ إبريل ١٩٨٩)

(١) سعيد أبو العينين، المرجع السابق، ص: ١١٦.

وعلى نفس المنوال قدم رخا أيضًا "بنت البلد" في ملايتها التي تنساب بسلاسة وترتدي برقعًا أسودً وتمشي في دلال تعكس خطواتها احساسها بأنوثتها، والتي دائمًا ما تتفوق على قريناتها من بنات الذوات ببساطتها رجاذبيتها. وعَن هذه الشخصية يقول رخا "لقد فكرت فيها عندما وجدت الناس يستعملون كلمة "بلدي" على كل ما هو قبيح ومعدوم الذوق..وللأسف هذا موجود حتى الآن..رسمت بنت حلوة جدًا..جذابة جدًا..وتسخر من كل العادات الوافدة..وتنتصر على خصومها"[1].

شكل ٦٢٢: بنت البلد!

(روزاليوسف، ٧' إبريل ١٩٨٩)

ومن الشخصيات الأخرى التي ابتدعها رخا: "ميمي به"، و"قرفان أفندي"، و"غنى الحرب"، و"رفيعة هانم"، و"السبع أفندي"، و"سكران باشا طينه"، و"وفدي أفندي" و"حمار أفندي".

(١) عادل حمودة، رخا ناظر المشاغبين، "روزاليوسف"، ١٧ إبريل ١٩٨٩.

شكل ٦٢٣: حمار أفندي!

حمار أفندي: "أنا مندهش إن ناس بتقول إن فيه ناس جعانين وعريانين، مع إن كل واحد أعرفه عنده مليون جنيه!"

(صباح الخير، ٢٠ إبريل ١٩٨٩)

ولعبت الشخصيات الكاريكاتورية مثل "**رفيعة هانم**" التي اتسمت بخفة الظل وروح الفكاهة على المتناقضات الاجتماعية لدى المواطن المصري. فرفيعة هانم ذات الوجه البريء سيدة بدينة جدًا إلى حد المبالغة اذا ما قورنت بزوجها "السبع أفندي" الرفيع والهزيل جدًا في الشكل والشخصية. ونجد "رفيعه هانم" في قالب فيه قدر من الرفاهية من الاحتفال بالأعياد فاختيار الهدايا والفساتين فلبس المايوهات والمرح على البلاج، وهذا لم يمنع تواجدها أيضًا في قلب ميدان حرب ٤٨ وقد تعثرت بدلال في دبابة إسرائيلية بها جندي رافع يديه الاثنتين مستسلمًا قائلة: "حوش يا سبع أفندي ...يظهر إني تعثرت في طوبة.

وهناك شخصيات الثنائي أحمد رجب ومصطفى حسين الكاريكاتورية التي عكست شخصيات حقيقية من المجتمع المصري في قالب فكاهي صادق، فكان سببًا وراء ارتباط الناس بها ونجاحها جماهيريًا. ومن هذه الشخصيات "كمبورة" الذي يتفنن في شراء الذمم ومساومتها، و"قاسم السماوي" الحقود على كل البشر حتى ممن بهم علة أصابتهم، و"على الكومندا"، و"عبد الروتين"، و"عزيز بيه الأليت"، وغيرهم.

حنظلة العربي:

تعد شخصية الطفل "حنظلة" نتاج إبداع الرسام الفلسطيني ناجي العلي من أشهر الشخصيات الكاريكاتورية العربية على الإطلاق، فقد كانت شاهدًا على معاناة ومأساة وطن، وهي انعكاس للصبي داخل ناجي نفسه، وتذكير بطفولته التعيسة بعد أن خرج مطرودًا من قريته ليقيم داخل مخيم "عين الحلوة" للاجئين.

يقول العلي عن الصبي الذي يظهر في رسومه بأنه "رمز..رمز ذاتي في العمق لناجي العلي. وعندما رسمته كنت أحاول أن أعكس ذاتي الشريدة المراقبة من خلاله..في مثل سن هذا الصبي خرجت من فلسطين وعشت تجربة المخيم وبدأ وعيي السياسي والحياتي يتفتح على القهر والفقر والتوق إلى الحرية والعودة إلى معاناة الوطن"..[1].

ويعتقد الكاتب نجيب صالح بأن تسمية الطفل "حنظلة" يرجع إلى ثمر من فصيلة الصبار يدعى "الحنظل" ينبت بلفلسطين والأردن، وهو من النوع المر جدًا حتى ضرب به المثل: "أمر من الحنظل". وتشبه رأس الطفل الصغير في رسوم ناجي ثمرة الحنظل، رمزًا للمعارضة والرفض ليس فيه تهادن[2].

وتمسك ناجي بالرسم ضد المساومات الظالمة ومن أجل حقوق شعبه المغتصبة، يقول عنه محي الدين اللباد بأنه "لم يحترم مجرد العمل بالممكن والمتاح. ولذا فقد هجا كل القيادات والأوضاع والأنظمة، لكنه لم يفعل ذلك لحساب أحد إلا لحساب ضميره وقلبه المتوجع. حتى قيادة شعبه الفلسطيني لم تسلم من هجائه اللاذع وتجريحه المتألم المؤلم"[3]. ويحكي ناجي أنه عندما خطب عرفات في الكويت عام ١٩٧٥، وقف يهدد قائلًا: "من هو هذا ناجي العلي، قولوا له إن لم يتوقف عن رسومه لأضع أصابعه في الأسيد"، وعندما بلغوه ما قاله عرفات، قال لهم: "يا عمي إن فقدت أصابع يدي سأرسم بأصابع رجلي"[4].

---

(١) ناجي العلي: الفنان – الإنسان – القضية"، مركز ناجي العلي الثقافي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٢، ص: ٢٩٥.

(٢) ناجي العلي: الفنان – الإنسان – القضية"، مركز ناجي العلي الثقافي، نجيب صالح، "..وحنظلة سيكمل المشوار"، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٢، ص: ١٠٢.

(٣) ناجي العلي: الفنان – الإنسان – القضية"، مركز ناجي العلي الثقافي، محيى الدين اللباد، "الرصاص في وجه الكاريكاتور"، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٢، ص: ١٠٢.

(٤) ناجي العلي: الفنان – الإنسان – القضية"، المرجع السابق، ص: ٤٣.

وما لبث أن طالته أيدي الغدر واغتالته في ٢٩ أغسطس ١٩٨٧ في لندن، وقد ترددت معلومات وقتها يفيد توجيه أصابع الاتهام إلى "إسرائيل" وجهاز استخباراتها "الموساد"، وذلك من خلال تورط شخصيات عربية مزدوجة العمالة[١].

ابتكر ناجي الكثير من الرموز، فصور رجال السلطة العرب بكائن سمين مترهل بلا ساقين يمشي زاحفًا، وصور المتاجرين بالقضية الفلسطينية يستخدمون الحطة "الكوفية" الفلسطينية لتغطية تجارتهم الخائنة، وصور الشهداء والفقراء وقد تكفنوا أو تغطوا بقماش اللافتات التي خطت عليها شعارات زائفة[٢].

شكل ٦٢٤: فلسطين!

"الوطن كامل التراب الوطني كامل التراب الوطني كامل التراب الوطني ..."

(ناجي العلي[٣]، ١٩٩٢)

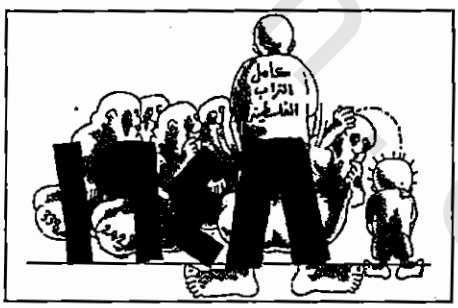

شكل ٦٢٥: كامل التراب الفلسطيني ـ ١٩٤٨!

(ناجي العلي[٤]، ١٩٩٢)

(١) "ناجي العلي: الفنان – الإنسان – القضية"، المرجع السابق، ص: ٣٥.
(٢) "ناجي العلي: الفنان – الإنسان – القضية"، المرجع السابق، ص: ١٠٢.
(٣) "ناجي العلي: الفنان – الإنسان – القضية"، المرجع السابق.
(٤) "ناجي العلي: الفنان – الإنسان – القضية"، المرجع السابق.

شكل ٦٢٦: المقاومة!
(ناجي العلي[1]، ١٩٩٢)

ورسم عمرو سليم في ذكرى وفاة ناجي العلي، وأنه حي في قلوب جميع الكائنات.

شكل ٦٢٧: ناجي العلي حي!
(الأدب[2]، سبتمبر ٢٠٠٢)

ورسم مخلوف "حنظلة" متحسرًا على الموقف العربي المخزي والمعتاد من ما يجرى.

شكل ٦٢٨: أسطول الحرية!

حنظلة: يالالا يا جماعة اشجبوا وادينوا واستنكروا..!!"

(المصري اليوم، ١ يونيو ٢٠١٠)

(١) "ناجي العلي: الفنان – الإنسان – القضية"، المرجع السابق.
(2) Al Adab Labnon magazine, September 10, 2002, Issue 9

العم سام:

لا يحتاج "عم سام" إلى التعريف فهو يعد أكثر الشخصيات الكاريكاتورية انتشارا ممثلًا رمزًا عالميًا للولايات المتحدة الأمريكية مما جعله مألوفًا لرجل الشارع العادي. وقد تعددت الروايات التي تبحث في أصل هذا الرمز ومن الطريف أن النظرية التي لاقت قبولًا عند أغلب المؤرخين ترجح بأن ظهوره كان بمحض الصدفة أو النكتة. ويرجع هذا إلى عام ١٨١٢ عندما خاضت الولايات المتحدة حربًا ضد بريطانيا وايرلندا وكان الجيش الأمريكي في ذلك الوقت متعاقدًا مع شخص يدعى صموئيل ويلسون أو سام ويلسون كما يناديه البعض ليرسل لهم شحنات من اللحم معبئة في براميل تابعة للجيش الأمريكي مختومًا عليها بالحرفين يو إس (U.S.) كاختصار للولايات المتحدة والتي أشار إليها البعض تفكها بـ(Uncle Sam) أو العم سام يقصدوا بها سام ويلسون وما لبثت أن انتشرت هذه الفكاهة لتصبح لقبًا شعبيًا للحكومة الأمريكية.

ويرجح بعض المؤرخين أن شكل "عم سام" و هيئته اقتبست من رمز وطني كان معروفًا مسبقًا عند الأمريكيين باسم أخ جوناثان أو (Brother Jonathan) والذي يجسد مبادئ الولايات المتحدة ومنها المساواة بين الأفراد. ومع الوقت حل محله "عم سام" و انفرد كرمز للحكومة الأمريكية ودخل بوابة الكاريكاتور السياسي مع الحرب الأهلية وتطور شكلًا على يد توماس ناست أكثر الرسامين شهرة في ذلك الوقت ومبتكر شخصية "سانتا كلوز" أو "بابا نويل".

ويمثل "عم سام" بريشة جيمس مونتجمري فلاج الشكل الكلاسيكي المتعارف عليه والذي ظهر في عام ١٩١٧ في أشهر ملصق في العالم بعنوان "أريدك للجيش الأمريكي" كدعوة للتجنيد في الحرب العالمية الأولى وقد أعيد استخدام الملصق مرة أخرى في الحرب العالمية الثانية (انظر الشكل التالي).

ظهر العم سام مجسدًا للحس الوطني ومرغبًا للانتماء فهو يرتدي ما يعكس ألوان العلم الأمريكي ممثلة في السترة الزرقاء والقبعة البيضاء المزينة بالنجوم ورباطة العنق الحمراء، وتجده شخصًا كبير السن ذا شعر شيب طويل و"سكسوكة"، نظراته تتسم بالجدية الشديدة والصرامة مصوبًا اصبعه تجاهك. والطريف أن هذا الوجه كان كثير الشبه بالفنان نفسه قبل إضافة فرق السن والسكسوكة ، كما أن فكرة هذا الملصق مستوحاة من ملصق آخر سبقه وإن كان أقل منه شهره ظهر عام ١٩١٤ بعنوان "نريدك" كدعوة للتجنيد بالجيش البريطاني.

شكل ٦٢٩: عم سام ١!

واتسع انتشار "عم سام" وتنقل بين صفحات الصحف والمجلات المحلية والعالمية، وتحدث بجميع اللغات وظهر بعدة نيولوك والتي كان أشهرها السترة الزرقاء ذات الذيل الطويل المزينة بالنجوم والبنطلون الأبيض المخطط بالأحمر، وأصبح لسان حال سياسة أمريكا الخارجية من وجهة نظر رسمية ليتخلى تدريجيًا عن أدوار الخير على خشبة المسرح السياسي.

شكل ٦٣٠: عم سام ٢!

"وافق مجلس الأمن بالإجماع على إنذار إسرائيل"

الصهيونية: "حتى أنت كمان بقيت شيوعي .. انجر قدامي!!"

(روزاليوسف، ٢٣ يناير ١٩٥٦)

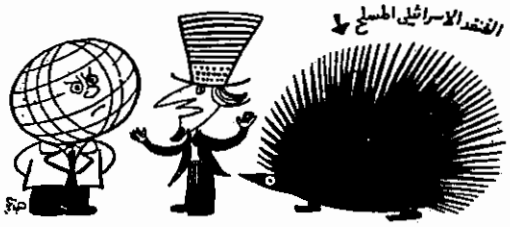

شكل ٦٣١: عم سام ١٣!

"القنفذ الإسرائيلي المسلح"

عم سام: "مسكينة إسرائيل، بتعمل كده لأنها خايفه من العرب وعايزه تعيش في سلام!!"

(روزاليوسف، ٢٦ أكتوبر ١٩٧٠)

النسر الأصلع:

لم يكن "النسر الأصلع" أو Bald Eagle حليق الرأس كما قد يظن البعض إنما يكسو رأسه ورقبته وذيله الريش الأبيض، في حين يغطي غالب جسمه الريش البني الغامق، كما أن منقاره ورجليه لونهم أصفر، مما يجعله من أجمل النسور وأكثرها جاذبية. ولم يكن ذلك هو السبب وراء اتخاذه رمزًا قوميًا للولايات المتحدة الأمريكية، فهذا النسر يحمل الجنسية الأمريكية ولا يعيش إلا على القارة الأمريكية وبالتحديد في أمريكا الشمالية على السواحل الممتدة من ألاسكا إلى كندا لشمال المكسيك حيث يتغذى على الأسماك ويقيم أعشاشه على الأشجار ذات الارتفاعات العالية.

تم اختياره رمزًا قوميًا للولايات المتحدة في ٢٠ يونيو ١٧٨٢ وبالتالي توالى ظهوره على معظم الأختام الرسمية بما في ذلك ختم الرئاسة الأمريكية. واتخذ الختم شكلًا دائريًا يزينه النسر الأصلع وهو يحمل في إحدى رجليه مجموعة من الأسهم وفي رجله الأخرى فرع الزيتون وحوله ٥٠ نجمة ممثلة للولايات الأمريكية.

ارتبط النسر الأصلع بالثورة فقد قيل: إن إحدى معارك الثورة نشبت في الصباح الباكر على إحدى السواحل مما أثارت ضوضاء أيقظت النسور النائمة والتي تركت أعشاشها وطافت محلقة عاليًا في شكل دوائر أعلى رؤوس المقاتلين و كأنها هي أيضًا تساند الثوار طالبة للحرية والآمان. فارتبط عندها النسر في مخيلتهم كرمز للثورة والحرية. كما ارتبط النسر ببعض الخرافات والأساطير القديمة، فهناك أسطورة قديمة تقول بأن النسر وحده من بين سائر الحيوانات يستطيع النظر إلى الشمس. وكان يعتبر طائرًا مقدسًا عند

بعض المواطنين الأصليين بأمريكا.

وظهر النسر في الكاريكاتير الأمريكي منقضًا على عدوه مستخدمًا منقاره ومخالبه، وكثيرًا ما كان أحد أطراف النزاع في الانتخابات الأمريكية أو متواجدًا مع "عم سام" منتقدًا بعض الأحداث الجارية، أو بطلًا في الاحتفالات الوطنية أو مغطيًا لأحداث رياضية هامة ذات الصبغة السياسية خاصة عندما يكون المنافس بريطانيا، ففي كاريكاتير نشر في يوليو ١٨٧٨ للرسام الأمريكي توماس ناست، النسر الأمريكي يجلس في حذاء كأنه قارب حاملًا للعلم الأمريكي بينما "عم سام" يجدف وهو يدخن سيجار ويعلو وجهها علامات الرضا والسرور احتفالًا بتقدم طاقم أمريكي من مونرو، ميتشيجان، ملقب بالحذاء على نظرائه من البريطانيين المنافسين والأكثر خبرة في سباق الزوارق (انظر الشكل التالي).

كما ظهر النسر الأمريكي بعد أحد ث سبتمبر في صور عدة، فمرة تجده يسنن مخالبه استعدادًا للانتقام من المعتدين وفي أحيانًا أخرى تجده يقتلع رأس المسؤول الأول لتنظيم القاعدة أسامة بن لادن. إلا أنه لم يقابل نفس شهرة "عم سام" في الوطن العربي، فنادرًا ما يظهر في الرسوم الكاريكاتورية رامزًا لأمريكا وناقدًا لسياستها.

"HURRAH FOR THE SHOES!"
Shoe-wun-on-the-Fourth-yes-Bett.
HARPWEEK

شكل ٦٣٢: النسر الأصلع!
(هربر ويكلي، ٢٠٠١)

تمثال الحرية:

بحث شعب فرنسا عن هدية تعبر عن صداقته للشعب الأمريكي فلم يجد أجمل أو أقيم من "تمثال الحرية" الذي سرعان ما أصبح من أهم معالم الولايات المتحدة الأمريكية وأشهرها عالميًا، وبذلك كلفت فرنسا النحات فريدريك اوجست بارثولدي Frédéric-Auguste Bartholdi ليصمم التمثال، أما الهيكل الحديدي الداخلي فكان من تصميم الكسندر جوستاف ايفل Alexandre-Gustave Eiffel ، مصمم برج إيفل، بينما قاعدة التمثال فكانت من تصميم المعماري الأمريكي ريتشارد موريس هانت Richard Morris Hunt. انتهى العمل من التمثال في فرنسا ومن ثم تم نقله إلى الولايات المتحدة ليستقر على جزيرة على نهر هيدسون في ٢٨ أكتوبر ١٨٨٦، ليقف شامخًا في سماء نيويورك مرحبًا بالقادمين إلى أمريكا خاصة المهاجرين.

التمثال واسمه الرسمي "الحرية تنير العالم" أو Liberty Enlightening the World عبارة عن سيدة تدعى الحرية تقف شامخة ضد الاستبداد ترتدي ثوب طويل فوقه وشاح واسع يعتلى إحدى كتفيها أشبه بملابس الرومان قديمًا، كما يزين رأسها تاج ذو سبعة أسنة أو أشعة ترمز للبحار والقارات السبع، تحمل في يدها اليسرى لوحًا مكتوبًا عليه تاريخ إعلان استقلال أمريكا عن بريطانيا في ٤ يوليو ١٧٧٦، وترفع عاليًا بيدها اليمنى شعلة لتنير العالم.

وبمرور السنوات أصبح التمثال رمزًا قوميًا وعالميًا للحرية والديمقراطية وارتبط الشعب الأمريكي بالتمثال إلى حد الحساسية إذا ما تعرض رمزهم للإساءة فهو بالنسبة لهم رمز يعبر عن إحدى البنود التى يؤمن بها الشعب الأمريكي والتي يعتبرها ميثاق شرف للمعيشة على أرض أمريكا.

ولما كان التمثال امرأة فبديهي أن يصور التمثال في الكاريكاتير على هيئة امرأة ولكن لا مانع أن يصور مرات على هيئة رجل!! ففي كاريكاتير نشر عام ١٨٨٧ بريشة ويليام روجرز، انتقد الرسام طريق السكة الحديد الذي سيتم إنشاؤه ليربط بين منهاتن وجزيرة كوني موطن التمثال. ومع أن السبب غير واضح وراء نقد الرسام للطريق إلا أن البعض أرجع ذلك لخوف الرسام على التمثال نفسه وهذا يفسر لماذا رسم طريق السكة الحديد يلتف حول التمثال كما في الملاهي. وفسر البعض الآخر أن الكاريكاتير ينتقد الفساد الذي استشرى في شركات السكة الحديد في ذلك الوقت ولعله نفس السبب الذي دعا الرسام إلى تصوير التمثال في هيئة رجل كإشارة إلى رموز الفساد.

وتعاظم ظهور "تمثال الحرية" في الكاريكاتير الأمريكي بعد أحداث سبتمبر لترجمة الإحساس بالألم ليس بين جموع سكان نيويورك فقط بل بين جموع الأمريكيين. فظهر التمثال في هذه الفترة على هيئة امرأة تنتحب وتبكي ضحاياها ويديها على وجهها من بشاعة المنظر. ولأنه رمز أمريكي مثله في ذلك مثل "عم سام" فإنه سرعان ما انتشر عالميًا وأصبح أداة رسم تستخدم لانتقاد سياسة أمريكا الخارجية وإن كان ليس بنفس قوة انتشار استخدام "عم سام"، وتنوع استخدامه من هذا المنطلق خاصة في العالم العربي.

شكل ٦٣٣: رحيل تمثال الحرية!
(كاريكاتير، ٢٥ مارس ٢٠٠٢)

جون بول:

عندما تتحدث عن بريطانيا العظمى والشعب الإنجليزي "الوفي" فأنت تتحدث عن "جون بول"، "John Bull"، الرمز القومي لبريطانيا والذي عرفه العالم في القرن الثامن عشر، وكانت ولادته على يد الطبيب جون اربيوثنت John Arbuthnot الاسكتلندي والذي سجل له شهادة ميلاد بين صفحات كتاباته السياسية عام ١٧١٢ في زمن اعتبره البعض العصر الذهبي للهجاء السياسي ببريطانيا. بدأت شعبية "جون بول" تلوح في الأفق مع حلول عام ١٧٦٢ على يد رسامين إنجليز ثم ما لبث أن تصدر الرسوم الكاريكاتورية للإنجليزي السير جون تانيال والتي نشرت أعماله في المجلة الفكاهية الإنجليزية بانش ليتسع انتشاره وتتطور شخصيته بعد ذلك على يد رسامي الكاريكاتير الأمريكي وعلى رأسهم توماس ناست.

خلال حروب نابليون، وظف "جون بول" كرمز قومي ينادي للحرية ويؤكد إخلاصه للملك وبريطانيا العظمى ويشحن الشعب لمقاومة اعتداءات فرنسا. كما استخدم "جون بول" لعقود في حملات بريطانيا لحشد الجنود إبان الحرب العالمية الأولى والثانية.

و"جون بول" عبارة عن رجل في منتصف العمر ذي جسد ضخم ووجه ممتلئ يرتدي قبعة قصيرة القامة ومعطف ذي ذيل طويل وصديري عليه علم بريطانيا وحذاء ذي رقبة وغالبًا ما يصاحبه كلب من نوع البولدوج.

وتعني "بول" في اللغة الإنجليزية ثور ولم يكن اختيار الاسم من قبيل الصدفة فصفات الثور كانت هي الأقرب لصفات المزارع الإنجليزي الذي اتسم بالأمانة والجرأة والشجاعة والصلابة الممزوجة بعند. كما جرى العرف بين المزارعين الإنجليز آنذاك أن امتلاء الوجه وتورده وضخامة الجسد في هذه السن علامة الصحة الجيدة. إلا أن هذه الصفات ما لبثت أن استغلت من قبل رسامي الكاريكاتير خاصة الأمريكيين عند انتقاد سياسة بريطانيا. فصور "جون بول" مرارًا في جسد ثور ورأس آدمي أو "بكرش" كبير خطط عليه خريطة العالم، وفي أوضاع أخرى اعتلى رأسه أذني أو قرني ثور. ففي إحدى رسومه عام ١٨٦٢، انتقد الرسام وليام نيومان William Newman بريطانيا لإعلانها اتخاذ موقف الحياد تجاه الحرب الأهلية الأمريكية، فرسم جون بول برأس ثور هائج وقد حلت عملة (جنيه إنجليزي) محل إحدى عينيه دلالة على جشع بريطانيا واهتمامها فقط بمصالحها المادية.

كما صورت العديد من الرسومات طبيعة العلاقة بين "عم سام" رمز أمريكا و"جون بول" رمز بريطانيا. فتجدهم تارة على وفاق يضحكان ويتصافحان عندما تجمعهما مصالح واحدة، وتارة أخرى كخصمين لدودين عندما تتعارض مصالحهما وتتباين. وكما هو الحال مع "عم سام" فقد عرف "جون بول" عالميًا كرمز لبريطانيا وكثر ظهوره في الرسوم في الفترة التي لاقت بريطانيا النقد الحاد من قبل مستعمراتها المطالبة بالاستقلال التام، وأفل نجمه شيئًا فشيئًا خلال الخمسينيات من القرن الماضي. وعلى عكس "عم سام" أصبح الثور الهائج وديعًا وحبيس تاريخ بريطانيا العظمى ولا يمت بصلة بسياسة بريطانيا الحالية.

شكل ٦٣٤: جون بول!

جونبول – فى عرضك طفى الفتيل ده.

النحاس باشا – مستحيل ..دا اللي حيقرب له يروح معاك!

(روزاليوسف، عدد ١٢٢٣)

الأسد البريطاني:

ساد العرف لقرون عديدة أن الإمبراطورية البريطانية هي أسد العالم. وكما في قانون الغاب يستأثر الأسد بلقب الملك ويكون هو الراعي وصاحب النصيب الأكبر من الثروات والأراضي التي تنضم لعرينه شيئًا فشيئًا.

تقول بعض المراجع بأن الأسد البريطاني ظهر كرمز للإمبراطورية البريطانية لأول مرة في عام ١١٥٤ وقد زين أشرعة ودروع الأسلحة الملكية في عهد الملك هنري الثاني. وكان الرمز عبارة عن أسد ذهبي يقف مستندًا على رجليه الخلفية على خلفية حمراء. وتطور الرمز الى أسدين واقفين في مواجهة بعضهما البعض في عهد الملك ريتشارد قلب الأسد عام ١١٨٩ ثم تطور إلى ثلاثة أسود. ومع الاتحاد بين إنجلترا وإسكتلندا وشمال إيرلندا، أصبح الشعار أكثر تعقيدًا ليشمل إلى جانب الأسد البريطاني، الأسد الاسكتلندي وآلة الهارب رمزًا لإيرلندا وإن كان استخدام هذا الرمز أصبح محدودًا ولا يكاد يخرج استخدامه عن شؤون المملكة الرسمية وبعض شؤون الحكومة البريطانية.

وكان الأسد البريطاني وجهًا مألوفًا على الساحة الكاريكاتورية الغربية، فظهر بطلًا مشاركًا في الحروب التي خاضتها الإمبراطورية البريطانية، كما ظهر كطرف نزاع مع مستعمراتها العديدة أو مع القوة الأخرى المسيطرة على العالم آنذاك. وبما أنه ملك الغابة فبديهيًا أن نجده في صراع ومنافسه مع القرد الإيرلندي أو مع الديك الفرنسي أو الثعبان الأمريكي أو الكلب الهولندي أو القط الفارسي أو في اشتباك مع النمر الهندي أو مسيطرًا على الكانجرو الاسترالي أو متفاوضًا ومنافسًا مع الدب الروسي أو كخصم عنيد وفي الغالب خاسرًا مع النسر الأمريكي.

و في كاريكاتير يرجع إلى عام ١٨٨٥ للرسام الأمريكي توماس ناست ، يصور الصراع بين الإمبراطوريتين البريطانية والروسية في أفغانستان، فظهرت روسيا في الكاريكاتير كعفريت العلبة الذي أفزع الأسد البريطاني لدرجة أن شعره كله وقف، في إشارة إلى تخوف بريطانيا العظمى وقلقلها الشديد من الزحف الروسي في شمال أفغانستان والذي استمر لعقود نجحت بريطانيا خلالها فى غزو أفغانستان لكن لم تستطع احتلالها والاحتفاظ بها لوقت كبير، كما حدث فيما بعد مع روسيا ومع الولايات المتحدة اليوم.

و في عام ١٩٤٠ ومع هزيمة فرنسا في حربها مع إحدى مستعمراتها، ظهر كاريكاتير يصور الأسد البريطاني وهو مجروح الأنف يخاطب الديك الفرنسي المنبطح أرضًا ومخترق صدره سيفًا قائلًا: "مغادرتك تؤثر فيه لكن ياريت تترك لي مستعمراتك هدية"،

دلالة على تشفي الإمبراطورية البريطانية من نظيرتها الفرنسية والسعي للتربح من هزيمة الأخيرة.

وفي كاريكاتير من مشهدين نشر بصحيفة النيويورك تايمز وأعيد نشره في مجلة المصور في يناير ١٩٥٧، ظهر في المشهد الأول الأسد البريطاني يمشي مزهوًا في اتجاه قناة السويس وفي المشهد الثاني نرى كيف خرج الأسد البريطاني من قناة السويس هزيلًا منكسرًا مذلولًا. ويبقى الأسد البريطاني (انظر شكل ١١٥) علامة على الإمبراطورية السابقة ولا يتمتع بنفس القدر الذي يتمتع به النسر الأمريكي الآن من الحرية، بل حبيسًا في قفص الحديقة الملكية متاحًا فقط للزوار من داخل المملكة المتحدة.

الدب الروسي و لدغات الديك الرومي:

عرف الدب البني العملاق رمزًا قوميًا لروسيا أو الاتحاد السوفيتي سابقًا وإن كانت شهرته تعدت ذلك لكونه من الشخصيات الأساسية في الحكايات الخرافية وقصص الأطفال والتي عكست جانب من شخصيته التي اتسمت بالهدوء والوداعة، فهو كثيرًا ما كان مسالمًا يتغذى على النباتات البرية خاصة التوت وله حرفية في صيد السمك خاصة السلمون. وقد انتشر الدب البني في ربوع غابات روسيا إلا أن بعض الحوادث قد وقعت نتيجة مهاجمته لسكان بعض القرى مما جعله يختلف كثيرًا عن الدب الذي يعشقه الأطفال. وقد صنف بعض العلماء أنواعًا مسالمة منه لم يسجل لها أن هاجمت أشخاصًا وأنواعًا أخرى شرسة. ومع اختلاف الظروف البيئية المحيطة به، يعاني الدب الروسي حاليًا من قلة عدده وندرة طعامه وإحساسه بالخطر.

نجده في الكاريكاتير السياسي أحيانًا يرتدي الزي العسكري وفي أحيانًا أخرى يضع فوق رأسه قبة الكرملين، وكثيرًا ما نراه مع نظيره الأسد البريطاني خاصة فيما يتعلق بالمنافسة على التجارة في الصين. وظهر عدد من الرسوم التي تعالج الصراع بين "الدب الروسي" و"الديك الرومي" رمز الدولة العثمانية في تركيا. فقد شهدت هذه الفترة سلسلة من الحروب بين الأتراك و روسيا لوقف توسع الأخيرة على حساب أراضي الأولى.

ومن أبدع ما رسم ممثلًا لهذا الصراع كان كاريكاتير بريشة الرسام جون تنيال وفيه محاكاة لقصة من الفلكلور الشعبي بعد أن تمت معالجتها بشكل يتناسب مع الأحداث الجارية. تحكي القصة أنه كان هناك دب يهدد النحل إذا لم يعطه العسل مجانًا، فلما رفض النحل، دس الدب يده في الخلية ليأخذ العسل بالقوة وإذا بالنحل ينهال عليه لسعًا ولدغًا ليفر الدب هاربًا مذعورًا. كان النحل الجنود الأتراك الذين هوجموا من قبل الجنود الروسية

(الدب الروسي) الذين تقدموا داخل الأراضي التركية. ويظهر في خلفية الكاريكاتير، مسجد كبير وبعض القباب التي تمثل خلايا النحل.

وظهر "الديك الرومي" أحيانًا يرتدي فوق رأسه هلالًا (رمز الدين الإسلامي)، وفي أحيانًا أخرى يرتدي طربوشًا (الزي الرسمي للأتراك) كما في كاريكاتير نشر بمجلة بانش الإنجليزية عام ١٨٥٣، للرسام جون تنيال تحت عنوان " الديك الرومي في خطر"، وفيه "الدب الروسي" يحتضن "الديك الرومي" بقوة حتى كاد أن يخنقه.

و حقيقة الأمر أن الدب الروسي قد دخل في سبات عميق بعد انتهاء الحرب الباردة إلا أن هناك بعض المؤشرات تقول بأنه بدأ يصحو من غفوته على يد الرئيس بوتن التي عكست تصريحاته وضع روسيا العسكري والذي تحسن كثيرًا، هذا علاوة على تعاونه مع المارد الصيني مما أقلق "النسر الأمريكي" بعودة الحرب الباردة إذا ما خرج الدب الروسي من سباته الشتوي.

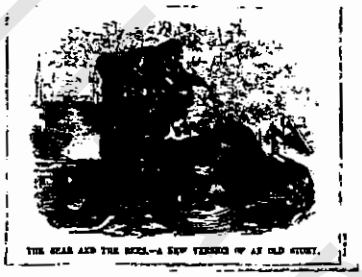

شكل ٦٣٥: "الدب الروسي!
(هاربر ويكلي، ١٦ يوليو ١٨٥٣)

شكل ٦٣٦: تركيا في خطر!
(هاربر ويكلي، ٩ إبريل ١٨٥٣)

شكل ٦٣٧: حلف الاطلنطي!

"واشنطن: تطلب روسيا الانضمام إلى حلف والاطلنطي"

(روزاليوسف، ١٢ ابريل ١٩٥٤)

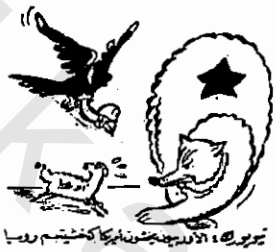

شكل ٦٣٨: روسيا وأمريكا!

"نيويورك: الأوربيون يخشون أمريكا كخشيتهم روسيا"

(روزاليوسف، عدد ١٣٦١)

الديك الفرنسي:

كان الديك cockerel رمزًا قوميًا لفرنسا وممثلًا لها بين القوى المؤثرة التي تحظى بشيء من السيطرة على قوانين البقاء في الغابة. يتميز الديك بحراسته لفراخه وبسيطرته على منطقته ومهاجمته بضراوة أي ديوك تحاول التسلل إليها، لكن هذا لم يكن السبب الرئيسي وراء اختياره رمزًا قوميًا. فيرجع البعض اختياره إلى خلفية دينية مسيحية حيث انتشر استخدام الديك في الرسوم التي تتزين بها الكنائس في فرنسا منذ العصور الوسطى. ومنذ القرن السادس عشر وارتبط رمز الديك بملك فرنسا وبالتالي ظهر على العملات المعدنية ثم ما لبث أن انتشر بقوة خاصة مع الثورة الفرنسية وظهر على العديد من الطوابع وعلى الأختام الرسمية.

ظهر الديك الفرنسي في الرسوم الكاريكاتورية وهو في مواجهات ساخنة مع النسر الأمريكي وأحيانًا في صحبة "جون بول" أو الأسد البريطاني الذي كثيرًا ما كان يتشفى فيه. إلا أنه قد تضاءل استخدامه حاليًا، فلم يعد يظهر إلا في بعض المناسبات المحلية مثل المسابقات الرياضية خاصة كرة القدم والركبي، فقد استخدم كتميمة وشعار لكأس العالم لكرة القدم الذي أقيم بفرنسا عام ١٩٩٨. وفي اطار الاحتفال بافتتاح النفق الذي يربط بين بريطانيا وفرنسا تم إصدار طابع بريد وفيه الديك الفرنسي والأسد البريطاني يتصافحان.

وبعد أن استعرضنا "عم سام" و"جون بول" والنسر الأمريكي والأسد البريطاني والديك الرومي التركي والدب الروسي والديك الفرنسي، أترك الخيال للقارئ للتفكير في أنسب رمز لمصر؟ ولا تنس أنه قد يقف في مواجهة مع كل ما سبق أو في مواجهة للقرد الايرلندي أو الكلب الهولندي أو القط الفارسي أو النسر الهندي أو التنين الصيني.

إسرائيل في الكاريكاتير:

كثيرًا ما صورت إسرائيل في الكاريكاتير المصري على هيئة صهيوني نحيل ذو أنف معقوف ولحية سوداء طويلة نسبيًا، يرتدي جاكيت أو معطفًا أسودًا وقبعة سوداء ذات حافة مستديرة. كانت هذه الصورة مطابقة بشكل كبير الصورة النمطية المعروفة للجماعات الصهيونية في ذلك الوقت.

كان "موشي دايان" رمزًا للمؤسسة العسكرية الإسرائيلية في حقبة الستينيات والسبعينيات. ورمز إلى الغرور والتعنت الإسرائيلي (بعد نكسة ١٩٦٧) بالديك الرومي المزهو بنفسه والمتعالي، بينما صور (بعد نصر ١٩٧٣) بالديك المذلول والذي يتدلى رأسه للأسفل في انكسار. كما صورت إسرائيل في هيئة أفعى وكلب مسعور. وحل رؤساء وزراء إسرائيل أعداءً على الساحة الكاريكاتورية ورمزًا للسياسة الإسرائيلية ومن أشهرهم: ديفيد بن جوريون وليفي أشكول وجولدا مائير وبنيامين نتنياهو وإيهود باراك وإرييل شارون وإيهود أولمرت. وحصل شارون على نصيب الأسد من الرسوم التي صورت سياساته بالعنصرية والدموية والمناهضة للسلام. كما صور هو شخصيًا مرات كشيطان تلمع عينيه احمرارًا أو كمصاص دماء أو قرصان بحر أو رجل الغاب يحمل "شومة".

وكثيرًا ما يشار إلى إسرائيل بأصابع الإتهام عن تورطها في المنازعات التي تحدث في عدد من دول إفريقية. فصورت تارة بالذئب الذي يتربص بفريسته وتارة بنسر أسود ينقض على حمامة "السلام"، وتارة بغول العنصرية أو شبح الإرهاب، أو بمجموعة غربان تنقض

وتفقع عين حمامة "السلام"، أو بالثعبان الذي أحكم قبضته على عم سام. فقد رسم طوغان (١٢ فبراير ١٩٩٩) ذئبًا عليه نجمة داوود رمزًا لإسرائيل وهو يراقب من على هضبة صراع بين اثنين من حيوان الأيل يرمزان إلى كل من اريتريا وأثيوبيا[١]. ورسم طوغان (٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠) نسرًا في وضع الهجوم، كتب عليه شارون ويزين كلا جناحيه نجمة داوود، يهب لينقض على إحدى حمامات "السلام" المحلقة في سماء القدس[٢].

وكثيرًا ما يتوسط العلم الإسرائيلي أو نجمة داود الصليب المعكوف رمز النازية. وكثيرًا ما يرسم رئيس وزراء إسرائيل وهو يصافح الزعيم النازي أدولف هتلر وهما واقفان على أنقاض مباني وجثث.

معاداة السامية:

اتهم عدد من رسامي الكاريكاتير المصريين المعاصرين بمعاداة السامية والعنصرية لاستخدامهم نجمة داوود والصليب المعقوف رمز النازية عند تصويرهم لشخصيات إسرائيلية في رسومهم.

ومن الجدير بالذكر أنه انتشرت في الآونة الأخيرة المنظمات اليهودية التى تدعم الباحثين والمتخصصين الموالين لإسرائيل لرصد وتحليل كل ما يكتب ويرسم ويقال فى الإعلام العربى والإسلامى، للحد من انتشار ما سموه «معاداة السامية الجديدة». وأخص هنا بالذكر جويل كوتك Joël Kotek، أستاذ العلوم السياسية بجامعة بروكسيل الحرة، الذي قام بدراسة عينة عريضة من الرسوم الكاريكاتورية العربية التي يظن أنها تعكس "ثقافة الكراهية" ويقول: إن من شأنها نشر وتعزيز صور نمطية غير حقيقية عن اليهود والإسرائيليين، ويظن أنها تحمل نفس الصور النمطية التي اشتهرت بها الرسوم فترة اضطهاد المسيحيين لليهود في العصور الوسطى وحتى فترة النازية[٣].

بشكل عام، يرى الرسامون بأن هذا نوع من أنواع الافتراء عليهم، فلا يمكن بأي حال أن يكونوا أعداءً للسامية وهم أنفسهم ساميون، فمن غير المعقول أن يكونوا أعداءً لأنفسهم[٤]، إلا أن كوتك يرى بأن "معادة السامية" أو "anti-Semitic" تخص اليهود

(١) أحمد طوغان، المرجع السابق.
(٢) أحمد طوغان، المرجع السابق.
(٣) جويل كوتك:
Joël Kotek. (2009). Cartoons and Extremism: Israel and the Jews in Arab and Western Media. Vallentine Mitchell: UK

(٤) رانيا صالح:
Rania M.R. Saleh (Fall 2007). Political Cartoons in Egypt. International Journal of Comic Art. 9(2), 187-225

وحدهم، فليس صحيحًا القول السائد عند العرب بأنهم هم أيضًا ساميون. فهذه الكلمة كانت من اختراع ويلهلم مار عام ١٨٧٣ واستخدمت من قبل أولئك الذين يسعون إلى تلخيص كراهيتهم المحددة والحصرية لليهود فى كلمة واحدة.

شكل ٦٣٩: المفاوضات في كامب ديفيد!
(الأهالي، ١٧ يوليو ٢٠٠٠)

يعرف كوتك الكاريكاتير المعادى للسامية بأنه يتسم بعنصرية تجاه إسرائيل أو اليهود أو هو الكاريكاتير الذى يصور ممارسات يهودية غير حقيقية مثل "طقوس القتل" و"الإبادة الجماعية" و"قتل الأطفال" وغير ذلك من الأمور الشيطانية – حسب تعبيره.

وشرح كوتك كيف انتقلت عدوى فوبيا اليهود من أوروبا المسيحية إلى مقاطعات عدة من الإمبراطورية العثمانية. ومن هنا عرفت صورة اليهودى شارب الدماء طريقها إلى قلب الأراضى الإسلامية. وبعد إعلان دولة إسرائيل، زاد انتشار تلك الصور النمطية التى استلهمها رسامى الكاريكاتير من الرسوم المسيحية البغيضة ومن تصورات النازية بشكل أفاد النخبة الدينية والسياسية، التى وجدت فيها تبريرًا مناسبًا للهزائم الساحقة فى ١٩٤٨ و١٩٦٧.

لم يوضح كوتك على أى أساس أرجع شرب إسرائيليين لأقداح دم الفلسطينيين فى الكاريكاتير المصري إلى إيمان الرسامين بنفس الخرافة القديمة التى أشارت إليها الرسوم المسيحية فى القرون الوسطى. كان يجب على الكاتب أن يتحرى المرجعية التى استند إليها رسامو الكاريكاتير بسؤالهم شخصيًا وليس بناءً على اجتهاداته الشخصية. فكوتك فى النهاية ليس ملمًا بثقافة الرسامين العرب وطبيعة البيئة التى يعيشون فيها والتى لها انعكاسات مباشرة على أفكارهم. ولا يوجد مجال للشك فى أن رجل الشارع العربى يستطيع أن يفهم من مثل هذه الرسوم أن الإسرائيليين يشربون من دم الفلسطينيين بمعناه الرمزى «أى قتلهم بلا رحمة» وليس بمعناه الحرفى.

ورد الرسام عمرو عكاشة على مزاعم كوتك هذه بتأكيده بأن الرسام حين يرمز للدموية في الكاريكاتير فهو يعني الدموية التى هي نتيجة لغارات القوات الإسرائيلية، وليس لهذا علاقة بالتاريخ السابق ذكره.

شكل ٦٤٠: شارون والسلام!
(الأهرام، ٢٧ أكتوبر ٢٠٠٤)

شكل ٦٤١: علاقة شارون بالولايات المتحدة!
(الوفد، ٢٧ مارس ٢٠٠٤)

شكل ٦٤٢: في صحة السلام!
(الأهرام، ٢١ إبريل ٢٠٠١)

تجاهل كوتك الإشارة إلى أهم العوامل المتغيرة عند تحليل الرسوم الكاريكاتورية وهو «المناسبة». فمعظم الرسوم التى تناولت قداح الدم وغلب عليها اللون الأحمر غالبًا ما كانت ردًا على قصف إسرائيلى أودى بحياة أبرياء وأطفال فلسطينيين. فالرسوم التى تظهر على خلفية بعض التصريحات الإسرائيلية غالبًا ما تكون مختلفة فى مضمونها عن تلك التى ظهرت على خلفية قصف غزة مثلًا. وبالتالى فإن تحليل الرسوم الكاريكاتورية بهذا الشكل بعيدًا عن الإشارة إلى بعدها الثقافى ومناسبتها، هو فى حد ذاته عداء للعرب لأنه يؤلها ما ليس فيها.

الخلط بين اليهودى والإسرائيلي:

يرى كوتك أيضًا أنه من الصعب لتفريق بين اليهودي والإسرائيلي فى الرسوم الكاريكاتورية العربية، فكلاهما فى النهاية مخلوق شيطاني أو حيوان مفترس أو مصاص دماء أو ثعبان سام أو جرذ قذر أو نازى. كما أن كليهما يهيمنان على العالم ويسيطران على الولايات المتحدة. وهذا اللبس أراه صحيحًا إلى حد ما فى بعض النماذج الكاريكاتورية التى قدمها الكتاب. فالخلط بين اليهود والصهيونيين وارد جدًا فى الخطاب الإعلامى العربى، مما يجعله، للأسف، هدفًا للمروجين لفكرة مناهضة العرب لليهودية.

ولكن حتى لو كان هذا الخلط صحيحًا، فالإشارة إلى اليهود دائمًا ما يحمل مغزًا سياسيًا وليس دينيًا. فالحديث لا يكون مطلقًا عن الديانة اليهودية ولكن عن اليهود الذين تبنوا فكرة أن يكون لهم وطن قومى حتى ولو على حساب شعبه الأصلى. ومع ذلك أرى أن نضيع عليهم هذه الفرصة وأن نكون أكثر دقة فى استخدام المفردات المناسبة، فعندما نقصد إسرائيل فلنقل «إسرائيل» وعندما نقصد اليهود المتطرفين فلنقل ذلك.

ويرى عمرو عكاشة أن هناك فرقًا بين الصهيوني المغتصب للأرض واليهودي صاحب الديانة. ويؤكد عكاشة أنه عندما يرسم فهو لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يسيء إلى أصحاب الديانات لما لها من قدسية خاصة جدًا ليس المفروض أن تمس. أما الصهيوني فيصوره في رسومه بمصاص الدماء لإيمانه بتعديه على أراضي الغير[1].

يعتقد طه حسين بأن "معادة السامية" إنما هي وسيلة يستخدمها الصهيونيون في محاولة لسد أفواه منتقديهم ومحاولة التأثير على الرأي العام خاصة الغربي أنهم هم الواقعون تحت الظلم. ويعتقد أحمد طوغان أن الصليب المعقوف في الرسوم إنما ليقول بأن هناك تشابهًا

(١) عمرو عكاشة، مقابلة شخصية، ١١ ديسمبر ٢٠١٠

بين ممارسات وأساليب إسرائيل المستخدمة في التعامل مع غير إسرائيليين وبين تلك الأساليب التي كان يستخدمها النازيون[1].

إسرائيل كبش فداء:

يرى كوتك أن رسامي الكاريكاتير العرب لا يعملون بنفس الكيفية التي يعمل بها نظراؤهم الأوروبيون والأمريكيون وهذا نتيجة للطابع غير الديمقراطي للبلاد التي يعيشون أو يمارسون فيها مهنتهم. فواحد مثل الفرنسي بلانتو لا ينتقد فقط بوتين أو شارون بطريقة مضحكة، إنما أيضا جاك شيراك وليونيل جوسبان. أما الرسامون العرب فلا يمكنهم شجب أفعال وأخطاء حكوماتهم وبالتالي يحتاجون "لكبش فداء" يلقون عليه اللوم وكل النقد. ويتساءل كوتك لماذا يجذب الفلسطينيون تعاطفًا أكبر في حين تهمل الرسوم تغطية مصير الأكراد أو الشيشانيين أو السودانيين!

يرى عمرو عكاشة بأن هذا لا ينطبق بأي حال من الأحوال على مصر، فهناك قدر من الحرية يسمح بنقد الشخصيات الرسمية بما فيها الحاكمة. وبالتالي عندما يتم نقد السياسة الإسرائيلية فليس لكونها "كبش فداء" بل لأنها تستحق النقد بالفعل. ويرى عمرو عكاشة أنه تم بالفعل تناول قضايا مثل البوسنة والهرسك والشيشان والسودان في الكاريكاتير، إلا أنه من الطبيعي أن تشغل القضية الفلسطينية اهتمام أكبر لما تشغله من مكانة مميزة وخاصة جدًا لوجود المقدسات المسيحية والإسلامية بها[2].

مناسبات كاريكاتورية:

هناك بعض المناسبات التي لا يمكن أن يتجاهلها الرسامون، بل إن بعضهم ينتظرها سنويًا ويستعد لها بالجديد من الرسوم الفكاهية التي لا تخلو من مغزى سياسي، ومن هذه المناسبات: رمضان وشم النسيم وكذبة إبريل وعيد الأم واستقبال السنة الجديدة.

رمضانيات:

عندما تتلألأ شوارع المحروسة بالفوانيس وتشد الزينة بين الشرفات خاصة في الشوارع الجانبية وتتكدس المحلات بالياميش ويختنق المرور تعرف حينها أن بشاير رمضان قد هلت.

(١) رانيا صالح، المرجع السابق.
(٢) عمرو عكاشة، المرجع السابق.

يستقبل المصريون رمضان بكل هذه الحفاوة لما فيه من سمو وعلو لقيمه الروحية التي بها تغسل النفوس وتعتق من قيود الشهوات على اختلاف درجاتها وتزدحم دور العبادة بالمصلين رافعين صوتهم بالدعاء خلف الامام أن يعينهم على أعدائهم في كل مكان. وتختلف هوية العدو اللدود من مصلٍّ لآخر وإن كان يشترك المصريون في عدو واحد وهو ظروفهم التي يستقبلون بها شهر رمضان والتي دائمًا ما تواجه مزيدا من الارتفاع في الأسعار.

ويلتفت العالم إلى قدرة المصريين السحرية على السخرية من حالهم فبعد أن تبكيهم ظروفهم وكوارثهم تجدها هي نفسها التي تضحكهم وكأن البسمة التي تصنعها النكتة بلسم يخفف عن الشعب آلامه وأوجاعه أو هي المغرى التي تقول ما لا يسمح به وبالتالي تتخطى كل حواجز الخوف والخطوط الحمراء. وطبعا لا تعدي مناسبة كهذه من غير بعض النكت التي يروجها المصريون أنفسهم للتعبير عن حالهم وللتنفيس عن أوجاعهم، الملكة الوحيدة التي تحسدنا عليها الدول الأخرى، والسلاح المصري الفتاك الذي لا يستطيع منافسته أو الوقوف أمامه أي حاكم أو نظام. ومن أشهر هذه النكت التي قد تكون قد استقبلت أحدها على تليفونك المحمول تقول: "إبليس بيقولك كل سنة وانت طيب و شهر وراجعلك يا جميل،" وأخرى: "قررت الفنانة هيفاء وهبي تقديم فوازير رمضان قبل الفطار عملًا بمبدأ: من أفطر صائمًا كان له مثل أجره." و"صايم يستهبل... سألوه نفسك تسمع ايه ؟، قالهم: آذان المغرب!".

ويأتي رمضان هذه السنة مختلفًا عن أي عام، فهو يأتي في أجواء مازالت محفوفة بعبير ثورة ٢٥ يناير، وبالطبع أتت تعليقات المصريين ونكتهم الساخرة هذه المرة متماشية مع سير أحداث ما بعد الثورة بما فيها من اختلافات وتحديات، والتي منها، "حالة من الجدل بين القوى السياسية حول ما إذا كان الإفطار أولًا أم السحور أولًا"! و"الشعب يريد تدميس الفول"! و"نلحق نختار رئيس قبل العيد عشان نقول حاجة غير عيد مبارك"! و"شرف: إذاعة المحاكمات بعد الإفطار بدل ما الناس تسب الدين للقاضي وتخسر صيامها"! و"يتساءل المصريون: هل استنشاق الغاز المسيل للدموع يبطل الصيام"؟!!

وبالطبع لا تضيع الرسوم الكاريكاتورية فرصة كهذه لتسليط الضوء على المتناقضات الرمضانية. فمع منتصف القرن الماضي، ابتدع عبد السميع شخصيته الكاريكاتورية "الشيخ متلوف" التي لاقت قبولًا وجماهرية واسعة، والتي تركز على المتناقضات بين "متلوف" الإنسان و"متلوف" الشيخ، وتضعها في قالب فكاهي ساخر.

شكل ٦٤٣: الشيخ متلوف..في الاوبرج!

(روزاليوسف، عدد ١٣٦٤)

وتعكس شخصية "الشيخ متلوف" مقدار الحرية التي كانت متاحة للفنان في الماضي، والتي كانت تسمح له بقلب الصور النمطية لبعض الموروثات العقائدية، مثل تلك التي ترى بأن "الشيوخ" معصومون من الخطأ أو لا يخطئون. ولا أعتقد أن في استطاعة الرسامين نشر قوالب جديدة يظهر فيها "الشيخ متلوف" متماشية مع قضايا وقتنا الحاضر، وذلك نتيجة للحساسية الشديدة الذي يتسم به المناخ العام ضد المساس بأي صور نمطية لها مرجعية دينية أو موروثات عقائدية.

شكل ٦٤٤: رمضان كريم!

هي: "لكن البوسة مش تفطر يا سيدنا الشيخ؟"

الشيخ متلوف: "مادام متوصلش للمعدة خلاص!"

(روزاليوسف، عدد ١٣٥٣)

وصور عبد السميع "الشيخ متلوف" وهو ينافق أيضًا السلطة من ضمن سلسلته الكاريكاتورية الابداعية "النفاق في حديقة الحيوان".

شكل ٦٤٥ النفاق في حديقة الحيوان!

السبع: "آكل ايه حلال يا سيدنا؟"

الشيخ متلوف: "كل حاجة حلال عليك!!"

(روزاليوسف، عدد ١٣٦٢)

كما صور زكي "الشيخ متلوف" في رسومه، ومن الملاحظ أن هذا الأمر متبع وقتها في "روزاليوسف"، فالشخصية التي يبتكرها الرسام تكون ملكًا للمجلة، وبالتالي فطبيعي أن تجد أكثر من رسام يرسمون نفس الشخصية.

شكل ٦٤٦: لشيخ متلوف!

الشيخ متلوف: "باشوف الخدامة الجديدة بتعرف تغسل ولا لأ!!"

(روزاليوسف، عدد ١٤٤٤)

واستقبل الرسام محمود رمضان في "آخر ساعة" عام ١٩٧١ بشخصيته الكاريكاتورية الجذابة "عم رمضان"، ذلك الشيخ البسيط بعمة وعباءة ويمسك بيده مسبحة ويستند على عصا ويحمل أحيانًا فانوسًا الذي يتابع أحوال الناس في رمضان ويفتيهم في شؤون صيامهم وهنا تكمن السخرية. ففي إحدى رسومه، "عم رمضان" ينظر بغضب واستياء لرجل يضع بين شفتيه "ببرونة" يمصها ويبرر الرجل فعلته قائلًا: "دي فيها إيه كمان..أنا باسلي صيامي..؟!" وفي كاريكاتير آخر، "الأتوبيس" وقد اكتظ عن آخره بالركاب الذين التحموا من كثرة الزحام خارجه على الأبواب، إلا أن أحدهم استطاع أن يخرج رأسه بأعجوبة بعد أن أصابته بعض الجروح يسأل "عم رمضان" قائلًا: "قول لي يا مولانا...مش أنا كده أبقى "على سفر"..؟!"

شكل ٦٤٧: عم رمضان!

"دي فيها إيه كمان..أنا باسلي صيامي..؟!"

(روزاليوسف، ١٩٧١)

ولا يتم التعبير عن رمضان، وإلا ويفرض شبح الأزمة الاقتصادية نفسه على الكاريكاتير. ففي كاريكاتير لجمعة بمجلة "صباح الخير" (١٠ إبريل ١٩٨٩)، رجل بسيط يمثل الطبقة الأقل من المتوسط يشير إلى خبر مكتوب في صحيفة يقول: "توفير الخبز والدقيق واللحوم والدواجن والزيت والسكر في رمضان"، ويحدث زوجته قائلًا: "إيسطي ياست...الحكومة حتصومنا طول السنة...عشان تفطرنا في رمضان.....!!"

أما عمرو عكاشة فيصور ثلاثية رمضان التي لا غنى عنها وتكمن في أدعية رمضان المستجابة، والتي تعتبر الفرصة الذهبية للدعاء بحكومة جديدة، وفانوس رمضان (الإصلاح السياسي) وفوازير رمضان عن "البطالة وارتفاع الأسعار والفساد". ويكشف جمعة فرحات عن خطة الحكومة في الاستعداد لرمضان، في حين يقارن محمد حاكم بين الصوم لشهر واحد وبين الصوم لسنة كاملة.

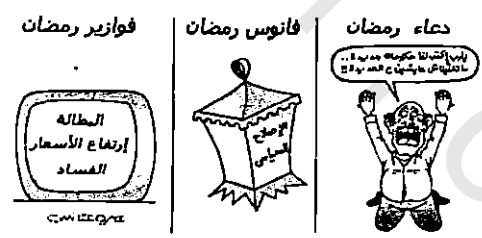

شكل ٦٤٨: رمضان ١!

دعاء رمضان: "يا رب اكتب لنا حكومة جديدة..ماتخلينا ش عايشين ع الحديدة!!"

فانوس رمضان: الإصلاح السياسي!

فوازير رمضان: البطالة، ارتفاع الأسعار، الفساد

(الوفد، ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٣)

شكل ٦٤٩: رمضان ٢!

الزوج: "ابسطي ياست...الحكومة هتصومنا طول السنة..عشان تفطرنا في رمضان..!!!"

(روزاليوسف، ١٠ إبريل ١٩٨٩)

شكل ٦٥٠: رمضان ٣!

"وايه يعني لما الناس تصوم شهر..ما احنا صايمين طول النسة!!"

(صباح الخير، ٦ ابريل ١٩٨٩)

وفي رمضان تتجلى شخصية المسحراتي، الذي يطوف البيوت خاصة في القرى والنجوع الصغيرة بطبلته وبصوته الرخيم يردد بعض المواويل التراثية. ويجود عليه بعض السكان ببعض العملات النقدية وفي آخر ليلة من رمضان أو صباح العيد يطوف مرة أخيرة ليأخذ "العدية".

وتطور المسحراتي في رسوم محمد حاكم في أواخر الثمانينات، فها هو يدق على الطبلة وأمامه نوتة موسيقية أو آخر يحمل "كاسيتًا" بدل الطبلة، وآخر "مابينساش" قائلًا: "سحورك يا محمد أفندى..سحورك يا أستاذ عبده..وبلاش انت يا سيد محمود عشان ما دفعتش العيدية السنه اللي فاتت!!!"

شكل ٦٥١: المسحراتي ١!

الزوجة: "قوم يا سي عبده..رمضان بعد يومين!"

(صباح الخير، ٦ ابريل ١٩٨٩)

شكل ٦٥٢: المسحراتي ٢!

(صباح الخير، ٦ ابريل ١٩٩٨)

شكل ٦٥٣: المسحراتي ٣!

(صباح الخير، ٦ ابريل ١٩٨٩)

للموظفين في رمضان حضور كبير في الرسوم الكاريكاتورية. ففي كاركاتير لمحمد حاكم (صباح الخير عام ١٩٨٩)، إحدى الموظفين يخاطب زميله في أول يوم رمضان قائلًا: "ياه..ده رمضان ده طول قوي! لسه فاضل ٢٩ يوم!!!" وفي كاريكاتير آخر، لخص الموظف

لزميله جدوى العمل في رمضان: "ونشتغل ليه اذا كان اللي ح نكسبه من الفوازير قد اللي ح نقبضه في سنه!!"

كذبة ابريل:

تحتفل العديد من دول العالم بالأول من إبريل كـ April Fool's Day أو كما نسميه بيوم كذبة أبريل. وقد تعددت الروايات واختلفت حول قصة هذا اليوم إلا إنها تتفق حول طريقة استقبال الناس لهذا اليوم. فهذا اليوم قائم على الخدع ومن يقع في الخدعة يتم نداءه بالمغفل. من أكثر الخدع شهرة ما أذاعته البي بي سي BBC في أول إبريل من عام ١٩٥٧ على البرنامج الإنجليزي الإخباري الأكثر شعبية بانوراما Panorama ما يقرب من ثلاثة دقائق عن كيفية حصاد غابات الإسباجتي في جنوب سويسرا. فقد تم بث المزارعين وهم يحصدون الإسباجتي من لشجر ويحملونها في سلالهم. بعد البث مباشرة، لقي البرنامج مئات الاتصالات لأناس يسألون عن كيفية زراعة أشجار الإسباجتي في حدائقهم. ومنذ ذلك اليوم وأصبحت بانوراما من أشهر من يقدم خدعة إبريل. ويعتقد البعض أنها تعتبر هي الأولى من نوعها في استخدام التلفاز كأداة لبث خدعة إبريل.

وفي عام ١٩٩٢، قام الراديو القومي بأمريكا من خلال برنامجه Talk of the Nation program أو كلام الشعب بالإعلان عن نية ريتشارد نيكسون في خوض الانتخابات الأمريكية مرة أخرى. أعلن البرنامج أن شعار نيكسون الجديد هو: "أنا معملتش حاجة غلط، ومش هاعمل كده تاني". أذيع أيضا مع الإعلان مقتطفات لخطاب نيكسون للشعب الأمريكي بمناسبة إعادة ترشيحه. مثل هذا الإعلان صدمة للشعب الأمريكي وانهالت المكالمات على البرنامج تعلن عن غضبها واستيائها من إقدام نيكسون على هذه الخطوة. فقط في الجزء الثاني من البرنامج، أعلن المذيع أن ما أعلن كان "خدعة" وأن المقتطفات من خطاب نيكسون كانت بتقليد من الكوميديان Rich Little.

ومن أكثر الخدع طرافة تلك التي ابتدعتها برجر كنج Burger King عام ١٩٩٨ حيث نشرت إعلان لها في صحيفة USA Today تعلن عن الجديد في لائحة طعامها وهو "سندويتش" صمم خصيصًا لمستخدمي يدهم اليسرى حيث ستكون المقادير هي ذاتها من طماطم وخص وبرجر وإلخ، لكن الاختلاف يكمن في أن السندويتش تم لفه على ١٨٠ درجة لإفادة مستخدمي يدهم اليسرى. وفي اليوم الثاني أعلنت برجر كينج أن قصة الإعلان ما هي إلا خدعة ومع ذلك فقد استقبلت آلاف الزبائن يطلبون هذا "السندويتش"، بينما طلب آخرون "السندويتش" المعتاد لمستخدمي يدهم اليمنى.

وكانت استقالة الحكومة المصرية هي أهم خدعة قدمها الرسام بديوي وإن لم تخدع المواطن المصري الذي لا يعيش "كذبة إبريل واحدة"!!

شكل ٦٥٤: استقالة الحكومة..كذبة إبريل!
(كاريكاتير، ٢٥ مارس ٢٠٠٢)

شم النسيم:

ما زلنا نحاكي أجدادنا في طريقة احتفالهم بيوم شم النسيم منذ آلاف السنين، فمن قضاء وقت في الهواء الطلق للاستمتاع بطلة نسمة الربيع، إلى الالتفاف حول مائدة خاصة جدًا من البيض الملون والخس والملانة والبصل والملوحة والفسيخ. ويحتفل المصريون بعيد شم النسيم في أول يوم اثنين بعد احتفالهم بعيد القيامة.

كان البيض في نظر أجدادنا رمز الخلق، كما جاء في بعض القراءات، فمنه تخرج الحياة ولذلك كانوا ينقشون عليه دعواتهم وأمنياتهم للعام الجديد، ثم بدلت النقوش بالزخارف والألوان الجذابة فيما بعد وإن كان لا يزال البعض يعتقد أن أكله يعد فألًا حسنًا بميلاد سنة جديدة طيبة. أما البصل فساد الاعتقاد عند أجدادنا بأنه طارد جيد للأرواح الشريرة وقاهر للمرض ولذلك كانوا يعلقونه في الشرفات ويضعونه تحت الوسائد عشية العيد.

ولا تختلف الوليمة المتعارف عليها في شم النسيم عن تلك التي تجدها على طاولة الرسامين والتي كثيرًا ما يكون أطباقها الرئيسية مكونة من البيض والفسيخ. ففي كاريكاتير لكمال نشر في صباح الخير في إبريل عام ١٩٨٢، الفسخاني وقد تزاحم عليه الزبائن يشترون منه الفسيخ، في حين يقف أحد تجار الأغذية الفاسدة يخاطب زميله قائلًا: "شايف ريحتها واصلة لغاية فين..وعمر ما حد قال: إنها فاسدة!". وطرح عز العرب مشكلة الفراغ الذي يعاني منه الشباب والذي يدفعهم أن يخرجوا ليعاكسوا الفتيات في المناسبات. فرسم ثلاثة من الشباب يعاكسوا الفتيات في الوقت الذي يمر فيه أب يرد على سؤال ابنه وهو يشير

إليهم قائلًا: "المجلس (الأعلى) للشباب؟ ..أهو بيشم النسيم!!"، إشارة إلى دور المجلس الغائب وقتها تجاه ملء الفراغ الذي يعاني منه الشباب.

شكل ٦٥٥: شم النسيم!

هو: "المجلس (الاعلى) للشباب؟ .. أهه بيشم النسيم!!"

(صباح الخير، ١٩٨٢)

وحدث في عام ١٩٩٠ أن كانت مناسبة شم النسيم في شهر رمضان، مما يعني أن يبدأ الناس احتفالهم بشم النسيم هذه المرة بعد مدفع الإفطار مباشرة، وطبعًا استغل الرسامون هذه المفارقة ليضعوها في قالب فكاهي ساخر. فرسم محمد حاكم في "صباح الخير" (١٩ إبريل ١٩٩٠) المسحراتي وهو ينادي قائلًا: "فسيخك يا صديم".

ولم تخل الرسومات الكاريكاتورية عن شم النسيم من إسقاطات سياسية، ففي كاريكاتير لمحسن جابر "بصباح الخير" (٢٢ إبريل ١٩٨٢) زوج يطالع صفحة من جريدة عليها صورة للص (مسؤول) وبجانبه "فسيحة" ويضحك قائلًا: "كل لتصريحات النهاردة ريحتها غريبة!!" وفي كاريكاتير آخر لجابر، رجل يحمل صحيفة تحمل خبرًا تحت عنوان "العلاقات الأمريكية الإسرائيلية" ويحدث زوجته التي تحمل "فسيخه" قائلًا: "ارحميني بأه..وكفاية علينا الريحة الهباب اللي في المنطقة..."، في إشارة إلى الخبر!

عيد الأم

يحتفى الناس في مصر وفي العديد من الدول العربية والغربية بعيد الأم كتعبير عن تقديرهم وامتنانهم لأمهاتهم. ويرجع بعض المؤرخين فكرة هذا اليوم إلى أنا جارفيز Anna Jarvis التي تأثرت كثيرًا بفقدان أمها فقررت أن تهب حياتها للاحتفاء بكل أم. بدأت ذلك بشكل مصغر من خلال التجمع في يوم محدد في كنيسة محلية لتعميق الإحساس بقيمة الأم إلى أن عمم هذا اليوم في أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٤ عندما أعلن الرئيس الأمريكي وودرو ويلسن Woodrow Wilson بأن الأحد الثاني من مايو يوم للأمهات، وما لبث أن انتشرت هذه الفكرة دوليًا.

وتشارك الرسوم الكاريكاتورية في أنحاء العالم بالتعقيب على هذه المناسبة بالنقد السلبي مصورة أنانية الأبناء وعدم مبالاتهم. ففي كاريكاتير لهارفيل تحت عنوان "امتى تعرف أن شعبيتك نزلت"، الرئيس بوش الابن يحدث والدته قائلًا: "ألو، ماما..أنا جورج. يوم أم سعيد! ماما؟! الو! الو! ماما!؟!"

أما الرسوم المصرية فكثيرًا ما تصور محاولة الأبناء في إدخال السرور على أمهاتهم بمناسبة ذلك اليوم. فرسم عمرو عكاشة (في "٢٤ ساعة"، ٢٠٠٩)، الابن يحمل رغيفين عيش ملفوفين بشريطة حمراء ويقدمهما لأمه قائلًا: "ملقتش أغلى من الهدية دي أجيبهالك!"

في وداع السنة القديمة:

دائمًا ما يتقدم "بابا نويل" أو سانتاكلوز Santa Claus رحيل السنة القديمة، حيث يعتبر أهم معالم الاحتفال بأعياد الميلاد في جميع أنحاء العالم. وترجع بعض المراجع شخصية سانتاكلوز إلى القديس نيقولاس في القرن الرابع الميلادي والذي عرف بطيبته وعطفه على الفقراء حيث كان يتخذ من الليل ستارًا له حتى لا يراه أحد وهو يوزع المؤن والمساعدات على المنازل الفقيرة إلا أن أمره قد انكشف ليصبح رمزًا للخير والعطاء. ويؤمن الأطفال في أنحاء عديدة من العالم بسانتاكلوز الذي يحلق في عربته الطائرة فوق بيوتهم عشية ليلة الميلاد ليوزع عليهم الهدايا والحلوى. ولا يزال العديد من الأطفال يكتبون لسانتاكلوز كل عام قبل العيد آملين أن يحقق أحلامهم الصغيرة بجلب هدايا بعينها لهم. وقد انتشر الجدل منذ عقود في الأوساط الأمريكية حول ما إذا كان صحيًا إيهان الأطفال وارتباطهم بهذه الشخصية الأسطورية وقد رفض قلة من الآباء إيهام أولادهم بأن الهدايا التي تأتيهم ليلًا هي من سانتاكلوز وليست منهم لاعتبارهم أن هذه خديعة.

ويرمز لسانتاكلوز بعجوز بدين نسبيًا ذو ملامح صافية تعكس طيبته وله لحية بيضاء طويلة يرتدي جاكت أحمر بحزام وقبعة حمراء محددة أطرافها بفرو أبيض يمتطي عربة تجرها أزواج من حيوان الرنة. وترجع هذه الصورة العصرية إلى رسام الكاريكاتير الأمريكي توماس ناست Thomas Nast الذي استطاع أن يعمم ملامح هذه الشخصية لتصبح الشكل القومي السائد والأكثر شعبية لتصدره الولايات المتحدة لجميع أنحاء العالم.

أول ظهور لسانتاكلوز كان في كاريكاتير لناست نشر بجريدة هاربر الأسبوعية Harper's Weekly في ٣ يناير ١٨٦٣ وفيه سانتاكلوز يوزع الهدايا على الجنود والأطفال وهو على عربته التي تجرها زوج من حيوان الرنة مستوقفًا أمام إحدى معسكرات جنود الاتحاد خلال الحرب الأمريكية الأهلية، والذين خرجوا لتحيته في مظر يعلوه جو من الفرح والسرور، وقد ظهرت في الخلفية لافتة مزينة كتب عليها "مرحبا سانتاكلوز"، ونرى أحد الجنود سعيدًا وهو يتفحص زوج من الشرابات الجديدة بينما يظهر آخرون وهم يحملون هدايا مغلفة. يعتقد البعض أن الغرض من هذا الكاريكاتير كان لرفع الروح المعنوية لجنود الشمال بزيارة سانتاكلوز لهم وبالتالي تثبيط الروح المعنوية لدى جنود الجنوب!!

في حين تكشف الرسوم الكاريكاتورية المصرية طبيعة العوائق التي كثيرًا ما تقف أمام "بابا نويل" لتكون حائلًا بين وصول هداياه للشعب المسكين !

شكل ٦٥٦: بابا نويل !!

وزير المالية السابق يوسف بطرس غالي: "على فين..إيدك على ضريبة المبيعات الأول!!"

(الدستور، ٢٩ ديسمبر، ٢٠٠٩)

شكل ٦٥٧: بابا نويل ٢!

(الأهرام ويكلي، ٣-٩ يناير ٢٠٠٨)

شكل ٦٥٨: بابا نويل ٣!

"شوف اما اقولك..مفيش حاجه من دي هتدخل البلد إلا لما آخد حمولتي!!"

(الدستور، ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٩)

منذ أكثر من قرن والرسوم الكاريكاتورية تودع السنة القديمة التي غالبًا ما تعتبرها نذير شؤم بإبراز الكثير من معالم البهجه والفرحة في إستقبال الجديدة. كثيرًا ما صورت السنة القديمة بالمرأة العجوز المهللة الثياب المنحنية الظهر التي تستند على عصى لتعبر بصعوبة من بوابة الزمن وهي تنظر شزرًا لفتاة شابة (السنة الجديدة) فائقة الجمال تشع نضارة وحيوية، يشرق وجهها نور وتفاؤل. كما أشير للسنة الجديدة بطفل صغير مقبل على الحياة وغالبًا ما يكون في استقباله شيخًا (السنة الماضية) قد طالت لحيته حتى أخمص قدميه، تعلو وجهه ملامح الاشمئزاز ويرحل مبتعدًا بعد أن ترك فاتورة ثمينة من الحوادث والمصائب لخليفته!

تنبأ الرسام صاروخان بما ستحمله سنة ١٩٤٨ من أحزان ونكبات، فرسم "بأخبار اليوم" كهل شرير (سنة ١٩٤٧) له ملامح شيطانية من قرنين أعلى رأسه وواحد في ذقنه محاولًا إجلاس طفل مشاغب (سنة ١٩٤٨) مكانه على كرسي تقع تحته قنبلة على وشك

الانفجار، ويحمل الطفل في إحدى يديه عود كبريت مشتعل. يودع الكهل الطفل قائلًا: "أرجو لك حظا أحسن من حظي!"

سنة ١٩٤٧ ـ أرجو لك حظًا أحسن من حظي !

شكل ٦٥٩: السنة الجديدة!
(أخبار اليوم، ١٩٤٨)

وعلى العكس، استقبل الرسامون سنة ١٩٧٤ بقدر كبير من التفاؤل والارتياح، لما حملته سنة ١٩٧٣ من نصر طال انتظاره، في حين صور الرسامون بأن السنة الجديدة لابد وأن وقعها كان سيئًا على الإسرائيليين. فرسم حجازي في "روزاليوسف" في مطلع عام ١٩٧٤ جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل وهي تحدث موشى دايان وزير الدفاع الإسرائيلي قائلة: "شوف لنا نتيجة بأه ما يكونش فيها أكتوبر..!!"